442

HARLEQUIN

روايات أحلام

وضاعت الكلمات

آن ميثر

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

وضاعت الكلمات

منذ خمسة أعوام انتهى زواج جين من ملك المال ديمتري سوفاكيس اليوناني. وهكذا تركته وقد حطمتها خيانته لتبدأ حياة جديدة في لندن.

لكن ديمتري الآن يريد وريثا... وبسرعة. وهكذا طلب الطلاق من زوجته الجميلة. ولكن قبل أن ينهيا الطلاق. صمم على أن يودعها لآخر مرة في فراش الزوجية.. حيث يستعيدان ذكريات الأيام الماضية...

... وكان لآخر ليلة حب بينهما نتيجة مثيرة. كيف بإمكان جين أن تخبر من سيصبح قريبا زوجها السابق بأنه حصل على أمنيته، وأنها حامل بابنه!

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

لبنان	5000ل.ل	[illegible]	[illegible]
سوريا	100ل.س	[illegible]	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2.50دينار
قطر	10ريال	عمان	أريال

آن ميـــثر

بدأت آن ميثر بالكتابة منذ طفولتها وتطوّرت أعمالها تدريجياً من روايات المراهقين الغرامية العاصفة إلى روايات الحب المتزنة التي تهوى مطالعتها. وهي متزوّجة وأمّ لولدين، يعيشون معاً في شمال إنكلترا. تستمتع آن ميثر إلى جانب الكتابة بهواياتٍ عديدة، منها المطالعة وقيادة السيّارات والسفر إلى أماكن مختلفة حيث تعثر على أفكارٍ لرواياتٍ جديدة. تعتبر آن ميثر نفسها محظوظة جداً بممارسة عملٍ لا تستمتع به فقط، بل يدرُّ عليها المال كذلك

١ ـ أريد الطلاق

دخلت جين إلى شقتها ثم توجه إلى الثلاجة مباشرة. لعلها لن تجد فيها مما يؤكل، لكنها تعلم أن ثمة زجاجات صودا. فتحت واحدة منها وشربت مستمتعة ببرودتها، ثم خلعت حذاءها من قدميها وسارت إلى غرفة الجلوس التي تستعملها كغرفة طعام أيضاً. ووقفت تجيل نظراتها في أنحاء الغرفة الفسيحة، مستمتعةً بالعودة إلى بيتها.

هذه الغرفة الفسيحة، مع المطبخ الصغير وغرفة نومها والحمام الملاصق لها، هي بيتها منذ خمس سنوات.

كانت قد ألقت بحقيبة ثيابها على أرضية الردهة الصغيرة، وعندما توجهت إليها لتستعيدها، وجدت زر الرسائل يومض. فكرت في أن المتصل هو أمها التي تريد أن تطمئن إلى وصولها إلى البيت سالمة. ورغم أنّ أمها تستطيع من دون شك الاطمئنان إلى وصول الطائرة إلى مطار «هيثرو» إلا أنها لا تزال بحاجة إلى سماع صوت ابنتها جين، لمزيد من الاطمئنان.

تنهدت جين وضغطت الزر لسماع الرسالة ثم انتظرت أن يتعالى صوت أمها.

كان أصدقاؤها يعلمون أنها مسافرة فيحولون اتصالات العمل إلى المعرض. ولهذا فوجئت بصوت رجل مألوف يقول: «جين؟ أهذا أنت؟ ارفعي السماعة، رجاءً. الأمر هام».

ارتمت جين بضعف على المقعد الصغير. فبالرغم من تصميمها على

www.rewity.com RAYAHEEN

ألا تدع ديميتري سوفاكيس يعود إلى حياتها مرة أخرى، إلّا أنها لم تستطع أن تنكر أن صوته العميق بلكنته فاجأها.

لكن صوته لم يكن هو ما جعله مليونيراً قبل بلوغه الخامسة والعشرين، بل ميراثه أولاً ثم قسوته في العمل... تلك القسوة التي انسحبت على حياته الخاصة.

أطلقت زفرة مرتجفة. وراحت تهدئ خفقات قلبها عندما جاءت الرسالة الثانية «هذا أنا يا جين، زوجك. أعرف أنك موجودة فلا تجبريني على أن آتي إليك بنفسي. ألا يمكننا أن نتعامل كإنسانين مهذبين على الأقل؟».

يا لهذه الغطرسة في صوته! وافتراضه أنها موجودة كلما أراد الاتصال بها... ثم كيف يمكنه أن يسمي نفسه زوجها بينما لم يهتم، خلال السنوات الخمس الماضية، بمعرفة ما إذا كانت حية أم ميتة؟

انغرزت أظافرها في كفيها وحاولت أن تتحكم في الغضب الذي تملكها، لكن هذا لم يمنع الذكريات المؤلمة من أن تقضي على نظرتها الواقعية إلى علاقتهما وتمزقها إرباً إرباً. كيف يجرؤ على الإتصال بها الآن وكأن له الحق في ذلك؟ فهي قد سلخته من حياتها.

حسناً... تقريباً.

تنهدت وهي تتذكر لقائها أبيه لأول مرة في المعرض الفني حيث كانت تعمل في لندن. كان ليو سوفاكيس الأب بالغ السحر والتهذيب. قال لها إنه يريد شراء تحفة فنّية من البرونز ليأخذها معه إلى اليونان، قطعة تتلاءم مع القطع ما جمعه على مرّ السنين.

حينذاك، كانت جين تعمل في المعرض منذ فترة قصيرة فقط، لكنها ابتدأت تظهر بوادر موهبة مميّزة. وجاء تمثال الإلهة «ديانا» الأنيق اختياراً موفقاً منها فتملك ليو سوفاكيس السرور. وكانا يناقشان مزايا الخزف الشرقي والبورسلين عندما ظهر ديميتري

سوفاكيس...

هزت جين رأسها. لم تشأ أن تفكر في ذلك الآن. لقد وصلت لتوّها من رحلة موفقة للغاية إلى أستراليا وتايلندا، وما تريده الآن هو أن تستلقي في فراشها. لقد قامت برحلة استغرقت ساعات طويلة، وتوقفت الطائرة بشكل غير متوقع في دبي.

كانت على وشك النهوض، مصممة على عدم الإجابة، عندما انطلقت رسالة ثالثة: «جين؟ هل أنت موجودة يا حبيبتي؟ قلت إنك ستصلين في الثامنة. الساعة الآن الثامنة والنصف وقد تملكني القلق. اتصلي بي حالما تصلين. أنا بالانتظار».

طردت من ذهنها أي اتصالات أخرى وتناولت السماعة. وسرعان ما أجابت أمها محاولة أن تضع في صوتها شيئاً من الثقة: «مرحباً ماما. آسفة لقلقك. تأخرت الطائرة بعد توقفها في دبي بشكل غير متوقع».

بدا الارتياح في صوت الأم: «آه، فهمت. هل أنت بخير إذن؟ هل كانت رحلتك جيدة؟ عليك أن تخبريني بكافة التفاصيل على الغداء».

الغداء؟ وكبحت جين آهة. فهي لا تشعر برغبة في تناول الغداء مع أمها اليوم. وقالت تعتذر، عالمة أن أمها لن تقبل اعتذارها: «أنا مرهقة يا ماما، ولا أستطيع أن أقوم بأي عمل قبل أن أنام ثماني ساعات».

فقالت الأم مستنكرة: «ثماني ساعات؟ هذا غريب، يا جين. أنا لا أنام أكثر من أربع ساعات في الليل! ألم تنامي في الطائرة؟».

- ليس كثيراً، ماذا عن الغداء غداً يا ماما؟ فهذا يمنحني بعض الوقت.

ساد الصمت لحظة ثم قالت السيدة لانغ: «لم أرك منذ ثلاثة

www.rewity.com RAHEEN

اسابيع، يا جين، وظننتك تريدين أن تري أمك، خصوصاً وأنك تعرفين أنني محتجزة في هذا البيت معظم اليوم».

أرادت جين أن تسألها ذنب من هذا؟ لكنها لم تشأ أن تثير جدلاً بل قالت: «لمَ لا تطلبين من لوسي أن تتناول الغداء معك؟ أنا واثقة من أنها سترغَب في ذلك».

– ولكن إذا جاءت لوسي لتناول الغداء، سيأخذ بول وجسيكا في الركض في أنحاء البيت.

– إنهما حفيداك يا ماما.

– نعم، لكنهما غير منضبطين.

– آه، يا ماما...

– على أيّ حال، إذا كنت لا تهتمين بزيارة أمك، فعليّ أن ابحث عن مرافقة. وأسفاه، أردت أن أخبرك عمن جاء لزيارتي الأسبوع الماضي.

أتراه ديميتري؟ وسألت أمها: «هل جاء أحدهم لزيارتك؟ هذا حسن».

قالت الأم غاضبة: «لم يكن ذلك حسناً على الإطلاق».

ثم أضافت بفروغ صبر: «آه، أظنه أخبرك بذلك. هل هو السبب في إرجائك زيارتي حتى الغد؟».

حبست جين أنفاسها: «لا! لكنني أظنك تتحدثين عن ديميتري. لقد ترك رسالتين على جهازي الآلي. لعله ظنك تعرفين مكاني».

– وأنا أعرفه طبعاً.

– هل أخبرته؟

– قلت له إنك خارج البلاد. أرجو ألّا تكوني قد توقّعت مني أن أكذب، يا جين.

تأوهت جين: «لا. هل قال ماذا يريد مني؟».

– كما سبق وقلت لك، إذا أردت أن تسمعي التفاصيل، فعليك أن تنتظري حتى تجدي وقتاً لي في برنامجك. أنت تعرفين أني لا أحب أن أتحدث عن أمور الأسرة عبر الهاتف... هل أنتظرك غداً؟

صرفت جين بأسنانها. لم تشأ ذلك بل أملت في أن تأخذ قسطاً من الراحة ليومين قبل عودتها إلى المعرض. وها هي الآن تجد نفسها مرغمة على الذهاب لرؤية أمها، ولو لتعرف ماحدث.

سألت أمها وهي تعلم أنها ستعشق عرضها: «ما رأيك في تناول العشاء معاً؟».

كان الخروج مع ابنتها الكبرى هو أحد أفراح حياتها، وقد أصبح هذا نادراً هذه الأيام. عندما كانت تعيش مع ديميتري، راحت أمها تنتظر فشل هذا الزواج. وعندما حصل هذا تدخّلت لتسوّي الأمور، رغم أن جين تعلم أن شعوراً بالرضا تملكها لأن توقعاتها صحّت مرة أخرى.

فكرت قليلاً ثم أجابت: «عشاء؟ أتعنين هذه الليلة؟».

كانت أكثر تعباً من أن تعارضها، فقالت بضعف: «كما تشائين. أتركي لي رسالة على المجيب الآلي عندما تقررين».

– هل هكذا تعاملين أمك؟

لكن السيدة لانغ أدركت أن الوقت حان للتراجع فقالت: «لا بأس بهذه الليلة، يا حبيبتي. هل الساعة السابعةُ مناسبة أم أن هذا مبكر بالنسبة إليك؟».

فأجابت جين بفتور: «لا بأس بذلك. إلى اللقاء يا ماما».

ووضعت السماعة بارتياح، وعندما عاد الهاتف يرن على الفور، رفعت السماعة بحدة، وإذ وجدته اتصالاً يسألها عما إذا كانت تحب أن تشتري مطبخاً جديداً، وضعت السماعة بعنف.

أدركت بعد فوات الأوان أن المتصل قد يكون ديميتري لكنها

عادت ورأت أن ذلك غير ممكن. لاشك أن ديميتري في لندن في رحلة عمل وليس لديه الوقت للتفكير في زوجته المهجورة.

ستكون الأخيرة على جدول أعماله كالعادة وتملكتها المرارة إذ لم تجد سبباً يجعلها تظن أنه قد تغيّر.

ارجأت فكرة إفراغ الحقيبة ودخلت الحمام لتأخذ حماماً سريعاً. بدت مرهقة وهي تضع خصلة من شعرها العسلي اللون خلف أذنها، وتتأمل نفسها في المرآة متفحصة مدى التغيير الذي طرأ عليها في السنوات الخمس الماضية. رأت خطوطاً خفيفة عند زاويتي عينيها لكن بشرتها مازالت ناعمة. كما ازداد وركاها سمنة ما ضايقها لكن صدرها مازال عامراً صلباً.

لكن من يهتم لذلك؟ فكرت في ذلك وهي تشعر بتعب بالغ تكاد لا تقوى معه على تنشيف جسدها بعد الحمام. عقدت شعرها المبلل بشكل رخو على قمة رأسها ثم اندست تحت الأغطية. حتى قلقها مما يريده ديميتري منها لم يستطع أن يبقي عينيها مفتوحتين.

أيقظها رنين الهاتف، أو ما ظنت أنه الهاتف، لكن عندما مدّت يدها ورفعت السماعة، لم ينقطع الرنين. إنه جرس الباب. لابد أنه شخص يريد أن يدخل إلى إحدى الشقق، فأخذ يقرع جرس الشقق كلها حتى يصل إلى الشقة التي يريد.

تنهدت وعادت تلقي برأسها على الوسائد ثم نظرت إلى الساعة بجانب سريرها. كان الوقت يقارب الظهر. لقد نامت أقل من أربع ساعات ولكن لا بأس في ذلك.

وشعرت بالحيرة لأنها تحسّ بالتعب نفسه الذي تشعر به عادة وهي تطير نحو الشرق.

وعاد جرس الباب إلى الرنين، فألقت الأغطية جانباً ونزلت من السرير حيث ارتدت عباءة حريرية خضراء، ثم سارت إلى غرفة

الجلوس ورفعت السماعة: «نعم؟».

- جين، جين. أعلم أن هذا أنت. هل لك أن تفتحي الباب؟

إنه ديميتري. وشعرت بالغيثان. لم تتحرك فهي لم تستطع ذلك. يبدو أن الإحساس بالضياع الذي شعرت به عندما استيقظت، شلّ قدرتها على الكلام. حدث هذا بسرعة، وهي بحاجة لأن تتمالك نفسها. فكرت من قبل في مواجهة زوجها مرة أخرى، إلّا أنها افترضت أن هذا سيكون بشروطها هي وليس بشروطه.

- جين! أعلم أنك في الداخل. كانت أمك من اللطف بحيث أخبرتني أنك ستصلين اليوم.

أصبح صوته الآن أقل صبراً وسمعته يشتم بلغته ثم يتابع: «هيا، افتحي. أتريدين أن يقبض عليّ بتهمة الإزعاج؟».

لم تستطع أن تتصور شخصاً مثله يقبض عليه بتهمة الإزعاج. كان ديميتري سوفاكيس شديد الثقة بنفسه لكن قوله هذا مجرد عذر كي يجعلها تفتح الباب. وأخيراً، قالت بصوت خافت: «لم ألبس ثيابي بعد يا ديميتري».

كان هذا كل ما فكرت في قوله، لكنه ليس كافياً. فأجابها بجفاء: «ليس جديداً عليّ أن أراك عارية. أحاول رؤيتك منذ أيام. لا يمكننا جميعاً أن نمضي النهار في الفراش».

- وصلت لتوّي من رحلة طويلة يا ديميتري. أتذكر جيداً أنك أنت نفسك لا تحتمل الطيران.

- نعم، آسف. كلامي هذا لا معنى له. اعتبريه بسبب الإحباط.

فقالت تتصنع السخرية: «أخبرني، يادميتري، كيف حالك؟ أنت مازلت عديم الصبر كعادتك».

- يا إلهي... لقد كنت صبوراً. والآن، هل ستفتحين الباب أم أنّ عليّ أن أحطمه؟

تلا ذلك صمت بدا وكأنه يحاول أثناءه أن يسيطر على غضبه.

بدا العناد على ملامح جين وشعرت برغبة شديدة في أن تدعه ينفذ تهديده... لكن منعها من ذلك ما يمكن أن يتملكها من ارتباك إذا ما قام بتنفيذ تهديده... وهكذا ضغطت على الزر.

تصاعد صرير البابّ السفلي وهو ينفتح، ثم صوت خطوات مسرعة على السلم ما جعلها تتراجع إلى آخر غرفة الجلوس. تركت الباب مواربا، ورغم أنها حدثت نفسها بأنها لن تهتم برأيه فيها، إلا أنه خطر لها أنها لم تمرّ حتى بيدها على شعرها بعد نزولها من السرير.

كانت تمشط شعرها بأصابعها حين ظهر دميتري على عتبة الباب، طويلاً، ممشوقاً، ذا شعر أسود كث ورثه عن أسلافه. لكنه بدا أكبر سناً بالشعيرات البيضاء في سالفيه. كان وجهه بلحيته السوداء النابتة منذ أيام. أكثر خشونة وصلابة مما تعهده، لكن الجاذبية ما زالت هي هي: لم يفقد حضوره شيئاً من تأثيره وقد يذكرها باليوم الذي دخل فيه إلى المعرض بخطوات واسعة، ناظراً إلى أبيه. وعندما قدّمهما الرجل العجوز إلى بعضهما البعض، بدا مهذباً غير متملّق وعاملها بعدم مبالاة هادئة، اشمأزت منها حينذاك.

وقف دميتري عند العتبة، ثم دخل الشقة وهو يفكر متأملاً في أنها تعيش هنا. كان قد سمع أنها ناجحة في عملها. ولم يستطع إلا أن يعجب بالمساحة البالغة الاتساع التي تمتد من مقدمة إلى مؤخرة المبنى القديم. كانت الشمس المتدفقة من النوافذ تضيء المكان. لكن وعلى الرغم من الانزعاج الذي سببته له بتركه ينتظر في الخارج، بدت له جين جذابة بشكل لا يمكن مقاومته. وقفت بعيدة عنه وقد شبكت ذراعيها على صدرها وكأنما تحمي نفسها. كانت ترتدي عباءة من الحرير تضمها حولها بشدة وكأنه يهددها. وكره هذه الفكرة. ما الذي تتوقعه منه؟

- جين.

وأخذ يفكر بالرغم عنه في أن مظهرها حسن... أكثر مما ينبغي بالنسبة إلى رجل يخطط للزواج من امرأة أخرى حالما يتحرر. لكن لطالما كان لجين هذا التأثير فيه، هذا هو سبب زواجه منها، وسبب كراهيته للبحث عن امرأة أخرى لتحل مكانها.

لماذا تعارض أمه أن يتصرف بحسب رغبته؟

أجابته متوترة: «دميتري».

وعندما مال على الباب ليغلقه، انتصبت في وقفتها وكأنها تشجع نفسها لمواجهة ما سيحدث. لم تكن تضع على وجهها أي زينة، واشتبه في أن لون وجنتيها المتورد يعود إلى تأثرها ذهنياً. كانت عيناها الخضراوان اللتان لطالما راوداه في منامه، أشبه بصفاء البحيرات على قمم جبال «كاليثي».

سألها وهو يبتعد عن الباب: «كيف حالك؟».

وجف فم جين حين تقدّم في الغرفة، بتلك الطريقة الرشيقة الكسول التي تجعل كل ما يلبسه يبدو فريداً في تصميمه.

رأته يضع خاتم الزواج، الخاتم الذي اشترته له حين عقدا قرانهما في «كاليثي»، وهي الجزيرة التي تملكها أسرته وحيث يعيش حين لا يجول حول العالم للاهتمام بشؤون امبراطوريته للشحن البحري. كان أبوه قد تقاعد قبل زواجهما على الرغم من أمه، التي لم تشأ أن يتزوج ابنها من فتاة إنكليزية خصوصاً فتاة مستقلة مثلها.

وأجابته بابتسامة مغتصبة: «أنا بخير. متعبة من السفر لأنني لم أنم بشكل كافٍ أثناء الأربع وعشرين ساعة الماضية».

- وأنا ايقظتك؟

وتقدم ليقف بجانب إحدى الأريكتين المتواجهتين الموضوعتين على سجادة رمادية.

www.rewity.com RAHEEN

رفع حاجبه الأسود معتذراً: «آسف لهذا».

هزت كتفيها بعدم اكتراث: «أحقاً؟ والآن، هل تريد أن تخبرني بما تريده مني، يا ديميتري؟ أنت لم تأت إلى هنا لتضييع الوقت. قلت إن الأمر هام».

حوّل عينيه، ناظراً إلى أصابعه وهي تمر على إحدى وسادات الأريكة ثم قال بفتور وهو يرفع رأسه مرة أخرى ليلقي عليها نظرة من عينيه السوداوين مرسلاً في جسمها رعشة توجس: «أريد الطلاق يا جين، هل هذا واضح بما يكفي بالنسبة إليك؟».

٢ - رغبات متضاربة

جاء دور جين في تحويل نظراتها عن نظراته الباردة. كانت ترتجف بالرغم من الجهد الذي بذلته للتحكم في نفسها، راجية الله ألاّ يدعه يراها.

لم يكن كلامه صدمة كاملة . فقد عاشت سنوات بعد افتراقهما متوقعة أن يطلب ديميتري حريته عاجلاً أم آجلاً، كانت واثقة من أن أمه ستقنعه بالزواج مجدداً إذا لم يكن في حياته امرأة أخرى. وكانت هي أيضاً تريد ذلك في تلك الأيام. لكن مع مرور الأيام، ابتدأت تعتقد، أن هذا لن يحدث قط.

- هل أنت بخير؟

تباً! فقد لاحظ رد فعلها، وها هو يعبر الغرفة نحوها. عليها أن تخرج من هنا وبسرعة قبل أن يشعر بالشفقة عليه، فهي لن تستطيع احتمال هذا.

قالت محبوسة الأنفاس، عالمة أنها إذا تنفست ستبدأ بالشهيق: «دعني أرتدي ملابسي..».

- جين..

تلفّظ باسمها كما اعتاد أن يناديها في اللحظات الحميمة، فأوشك أن يدمّرها. وقالت: «امنحني دقيقة فقط».

وفتحت باب غرفتها ثم أغلقته خلفها. لكن عندما انفردت بنفسها، لم تستطع أن تمنع عاصفة المشاعر التي غمرتها فانهمرت

دموعها الساخنة على خديها. وأخذ أنفها يسيل هو أيضاً، فسارت إلى الحمام حيث سحبت قبضة من المناديل الورقية. ثم جلست على حافة حوض الاستحمام ودفنت وجهها بين يديها.

- عزيزتي...

لم تعرف كم من الوقت بقيت في مكانها قبل أن تسمع صوته. يا إلهي.. وارتجفت بعنف وهي ترفع رأسها غير مصدقة أن دميتري يقف على عتبة الحمام ينظر إليها. لم تشعر في حياتها بمثل هذه المذلة، فهتفت بصوت مخنوق وهي تحاول الوقوف: «اخرج. كيف تجرؤ على الدخول إلى هنا؟ ليس لديك الحق في إقتحام خلوتي بهذا الشكل».

تنهد دميتري واستند إلى جانب الباب ثم أخذ ينظر إليها برقة بعثت الاضطراب في نفسها. قال بنبرة تنضح بالمشاعر: «أنا أجرؤ لأن أمرك يهمني. عزيزتي... جين، أنى لي أن أعلم أن رد فعلك سيكون بهذا الشكل؟ كنت ظننتك ستسرين لخروجي من حياتك».

فشهقت: «وأنا كذلك».

- لا يبدو ذلك.

- لا تشعر بالغرور يا دميتري، عدت لتوّي من رحلة درت فيها حول نصف العالم وأنا مرهقة؟

وابتسمت ابتسامة متوترة ثم أردفت: «كان الأمر صدمة لا أنكر هذا. لكنني لا أبكي لأن قلبي تحطم.. هذا بعيد عن الحقيقة».

لم يبدُ الاقتناع على دميتري: «أتريدين أن تقولي إن هذا الانهيار يحدث لك كلما عدت من رحلة؟».

قالت بجدة وهي تجاهد لتتمالك نفسها: «لا تهتم لذلك أكثر ما ينبغي».

وصمتت لحظة قبل أن تضيف: «لا بأس. ما الذي تريدني أن أقوله يا دميتري؟ أنني سحقت؟ دمرت؟ وأن سماعي خبر أن الحقير

المتغطرس الذي تزوجته سيفرض نفسه على مسكينة أخرى دمّرني؟».

تملك دميتري الغضب لكلماتها هذه، فقد جاء يبحث عنها بنية حسنة للغاية. وها هي تمزق نيته الحسنة إرباً إرباً!

هذه هي عادة جين. تطلق النار أولاً ثم تندم لاحقاً.

لكن شيئاً ما حدثه بأنها لن تتراجع هذه المرة، فانتصب واقفاً وقال بجدة: «أنت ذئبة جاحدة. أتعرفين هذا؟».

قالت بجدة وهي تمسح دموعها بالمنديل الورقي: «هذا ما تخبرني به الآن».

- حسناً، ربما عليك أن تتحكمي بلسانك. قال لي المحامي إنني، في هذه الظروف، لست مضطراً لأن أقدم لك أي هبة قانونية.

قالت باحتقار: «لا أريد نقودك. لم أفعل هذا قط. اخرج من هنا وحسب إذ أريد أن أرتدي ثيابي».

حدق دميتري فيها وأدرك أنها ضعيفة رغم الشجاعة التي تتظاهر بها، فعيناها الخضراوان الرائعتان مازالتا مغرورقتين بالدموع، وفمها، لا يزال يرتجف.

ورغم أن كلماتها أزعجته كثيراً، إلا أنه وجد نفسه يقول: «إذا كان هذا ما تريدين».

- ماذا توقّعت غير ذلك؟

رفعت رأسها تبادله النظر فشعر رغماً عنه بالإعجاب للطريقة التي تواجه بها مشاعرها الآن. الإعجاب، وشعور آخر... شعور لا يريد أن يضع له اسماً. شعور جعله يقترب منها فجأة.

كان حوض الحمام خلفها وما من مكان تذهب إليه. وهكذا، عندما مد يده إلى رقبتها من الخلف، لم تستطع سوى الوقوف ساكنة له بالنظر إليها بمزيج من التسلية والسخرية، وهو يقول مقترحاً: «ماذا عن هذا؟».

www.rewity.com RAHEEN

كان صوته أكثر خشونة من قبل. وقبل أن تدرك ما سيفعله، انحنى وعانقها.

ولم تعرف كيف منعت ساقيها من الارتجاف.

مضى وقت طويل منذ لمسها دميتري.. وقت طويل منذ شعرت بأصابعه على بشرتها.

كان جسده ينضح بأمواج من الحرارة وهو يغمرها. ورغم تصميمها على ألّا تغمض عينيها، وعندما رأت أهدابه الكثة مغمضة وفكه مظللاً بالسواد تملكتها رغبة هائلة في الاستسلام. لكن كيف حدث ذلك وقد كانا يتبادلان الشتائم منذ لحظة. والآن ها هي... تسمح له بلمسها. لا بد أن هذا حدث لأنها كانت تبكي. راحت تحدث نفسها بهذا محاولة تبرير ما لا يمكن تبريره. لطالما كانت مشاعرها تتضاعف عندما تبكي، ودميتري يعرف هذا جيداً. نعم. ومن غيره؟ لطالما جعلها تبكي...

كانت بشرتها ناعمة وساخرة للغاية فطوق خصرها بذراعه وجذبها إليه.

يبدو أن التعقّل فارقه، وأنسته رغبته المفاجئة أسباب مجيئه إلى هنا. وتأوه: «آه يا جين».

تساءل عما إذا كان سيندم على خسارته لها، لكن ها هي هنا، تعرضّه لخطر الإصابة بنوبة قلبية إذا لم يخفف من توتره هذا بسرعة.

ترنّحت جين، وأوشكت عواطفها أن تغلبها بشكل خطر.

لا يمكنها أن تدعه يفعل هذا. عليها أن تبتعد عنه. لكن عندما تأوهت، أدرك أنها تريده أن يستمر.

فاق عناقه لها قدرتها على أن تقاومه. وأخذ نبضها يتسارع شوقاً إليه.

احتجت بضعف: «ديميتري».

فقال لها بصوت أجش كم هي رائعة، وأنه لا يريد لهذا أن ينتهي.

- وكذلك أنا.

فتح دميتري عينيه على صوت المياه المتدفقة فبقي لحظة يحدق في السقف فوقه من دون أن يرى شيئاً مألوفاً. لم ير قط من قبل سقفاً بلون الخوخ كهذا، ثم اخفض بصره إلى النوافذ المستطيلة المغطاه بستائر خضراء اللون.

كل هذا غير مألوف.

وفجأة اتضح له كل شيء.

تنفس بحدة ثم انتصب جالساً وأخذ يحدق حوله غير مصدق عينيه. يا إلهي... إنه في شقة جين... في سرير جين! ما الذي كان يفكر فيه. لقد جاء إلى هنا ليطلب منها الطلاق وليس ليصل إلى هذا...!

عاد يغمض عينيه راجياً أن يكون هذا كله حلماً جنونياً. وأمل أن يجد نفسه عندما يفتح عينيه في غرفته في «كاليفي»، وهدير البحر المتوسط الرقيق في أذنيه.

لكن هذا لم يتحقق. وعندما فتح عينيه للمرة الثانية وجد نفسه لا يزال في سرير جين.

يا إلهي! كان يُفترض به أن يفكر في الخروج مُن هنا بكرامته محفوظة، وليس أن يفكر في دخول الحمام ليفاجيء جين. أرغم نفسه على النزول من السرير وأخذ يرتدي ثيابه من دون تفكير. وفجأة، ورغم رغبته في أن ينتظر ليراها دفعه التعقل لأن يختطف حذاءه وسترته ويخرج من غرفة النوم قبل أن يقترف غلطة أخرى.

وفي غرفة الجلوس انتعل حذاءه وارتدى سترته، ثم مشط شعره بأصابعه وهو ينظر من حوله. يا لجهنم... كيف حدث هذا؟ كيف

استحال نقاش بسيط إلى هجوم على حواسه.

لمَ لم ينتظر حتى تصبح جاهزة وقادرة على التحكم بمشاعرها، ثم تجري المقابلة بينهما بسرعة وموضوعية؟

هذا ما قالت إنها تريده. وعندما تركت الغرفة في البداية، ظنها ذهبت لتغيّر ثيابها ليس إلاّ. وعندما مرّت الدقائق، ولم يسمع صوتاً من غرفة النوم، عند ذلك تملكته الشكوك. أو القلق.

لطالما فعلت جين هذا به. في السنوات الثلاث التي أمضياها معاً. اعتاد عندما تتركه أن يخرج في أثرها متلهفاً ليطمئن إلى أنها بخير تماماً، كما حدث اليوم.

وتنهد. بالرغم من أنه وجدها تبكي بذلك الشكل، ما كان على بكائها أن يؤثر فيه إلى ذلك الحد. عدم بقائهما معاً ليس ذنبه هو. وإذا كان طلب الطلاق يعني الكثير لها، فلِمَ لم تحاول أن تراه مرة أخرى قبل أن يسوء الوضع بينهما بهذا الشكل؟

عندما تركته جين، حدث نفسه بأنه سيجد بديلة لها بسهولة، إلا أن هذا لم يحدث. زواجه من جين جعله يكره كل امرأة أخرى. وابتدأ يعتقد بأنه ، لن يحصل على ذلك النوع من المتعة مرة أخرى.

لكنه حصل على ذلك الآن.

ومعها!

ورغم أنه كان جالساً على الأريكة في غرفة الجلوس ينتعل حذاءه. إلاّ أنه لم يستطع ان يهدأ، ليس بعد أن اضطرب. يُفترض بهذا اللقاء أن يكون اجتماعاً قصيراً، ليخبرها بالأمر بنفسه من باب التهذيب وليس عبر المحامي. ولكنه سمح لها بأن تسيطر على مشاعره مرة أخرى تماماً كما خشيت أمه. سار إلى النافذة يبحث عن سيارته الليموزين المتوقفة أمام البيت.

استدار بما يشبه الشعور بالذنب، عندما سمع صوت الباب يُفتح

خلفه، وهذا شعور آخر جديد عليه. خطر في باله أن يخرج قبل أن تنهي حمامها، بالرغم من أنهما لم ينهيا حديثهما، إذ من الممكن إرجاء هذا الكلام إلى الغد أو ما بعده لكن الأوان فات الآن.

دخلت جين الغرفة بشيء من التردد. كان شعرها ينسدل على كتفيها ناعماً كالحرير كما ارتدت قميصاً مقفلاً أخضر اللون يلتصق بصدرها، وسروالاً من الجينز يبرز بشرتها القمحية اللون.

بدت له بنفس جمالها المعتاد، وتساءلت عما إذا ارتدت هذا القميص بالذات ليبرز عينيها الخضراوين. بدت مغرية للغاية، لكن ملامحها لم تكن مشجعة. كانت عيناها متحفظتين باردتين وهما تراقبانه بحذر امتزج بالازدراء.

وعندما لم يتكلم، قالت: «مازلت هنا إذن.. هل تريد قهوة؟».

قهوة؟ لم يعرف ما إذا كان عليه أن يشعر بالارتياح أم بالإهانة. ها هي تعرض عليه قهوة وكأنهما كانا يتحدثان ولم يعيشا لحظات حميمة حارة.

قال متوتراً: «لا. شكراً».

وتردد ثم أضاف بالرغم عنه: «هل أنت بخير؟».

- ولماذا لا أكون؟

ولاحظ أنها حوّلت نظراتها عن نظراته هذه المرة وهي تضيف: «اجلس. لن أتأخر».

تنفس بعمق وأجاب: «من الأفضل ألاّ أجلس... هل سنتحدث عن هذا؟».

ركزت اهتمامها على وضع الفنجان في الصحن بشكل يرضيها، ثم ألقت عليه نظرة سريعة والفنجان في يدها: «هل أنت واثق من أنك لا تريد أن تشرب شيئاً؟».

فقال بفروغ صبر: «أنا واثق».

www.liilas.com

ما الذي تفعله؟ هل ستتظاهر بأن هذا لم يحدث قط؟ وعاد يقول بحدة: «انظري إليّ يا جين. لا، ليس بهذا الشكل. انظري إليّ بشكل صحيح. أخبريني، ما الذي تفكرين فيه؟».

٣ . لن أغيّر رأيي

وجدت صعوبة في أن تفعل ما طلبه منها. لا بأس، لقد أدركت أنّ شيئاً لم يتغيّر رغم ما حدث بينهما. وهذا لن يشكل ذرة فرق بالنسبة إلى دميتري.

كان هذا السلاح الذي يلجأ إليه عندما يريد منها شيئاً. لطالما كان هذا وسيلة جيدة ليحصل على ما يريد في الماضي. ولا بد أنه يعتبرها عاجزة عن مقاومة الإغراء.

فكرت بمرارة في أنها كانت غبية للغاية.

ليته فقط لم يأت إلى هنا فيما هي متعبة للغاية من رحلتها! إنها تتوقع عادتها الشهرية وهي عاطفية للغاية في هذا الوقت من الشهر.

وكان حنانه المصطنع القشة الأخيرة.

أجابت كاذبة: «أنا لا أفكر في شيء... ماذا عنك أنت؟ ما الذي تفكر فيه يا دميتري؟».

فكر ساخراً في أنها لن ترغب في معرفة ذلك، لأنه يفكر في إعادتها إلى السرير، لكنه سيكون مجنوناً لو اعترف بذلك. فهذا سيظهر مدى الضعف الذي يشعر به.

وأخيراً قال: «أنا أفكر... في أن عليّ أن اعتذر. أنا.. لم أكن أنوي القيام بهذا».

انتقى أقل الخيارات استفزازاً فقالت بسرعة: «حسناً، هذا يجعل أفكارنا متشابهة».

شعر دميتري بغصة في حلقه. هل كان عليها أن تظهر كل هذا النبذ له؟ أما عليها أن تعترف على الأقل بأن اللوم يقع عليها جزئياً؟

وترك الطاولة وعاد ليقف عند النافذة من جديد. ما زالت سيارته في مكانها، وتمنى لو بإمكانه أن يستقلها ويبتعد بها. أراد أن ينسى ما حدث، أن ينسى أنه عندما جاء إلى هنا كان يتطلع إلى الخاتمة، إلى النهاية بينهما! ولوى شفتيه.

لكنه، وبدلاً من ذلك، مزق مظهراً كاذباً، وترك جرحاً مفتوحاً.

- هكذا إذن؟

سمع صوتها فالتفت ليجدها تجلس على ذراع الأريكة وفي يدها فنجان القهوة السوداء فرفعت إليه عينين متسائلتين: «هل أعتبر أن ثمة امرأة أخرى؟».

ما أسخفه من سؤال في مثل هذه الظروف. وتملكه الإغراء في أن يلعنها، ثم يخرج. وشعر بحماقة أن يعترف أن هذا هو سبب حضوره إلى هنا، وأنه ينوي الزواج من امرأة أخرى عندما يتحرر من زواجه هذا.

لكن لم يكن لديه أيّ خيار فهذا هو المتوقع منه بصفته ابن أبيه الأكبر. عندما تقاعد ليونيدس سوفاكيس سلّم رئاسة شركة «سوفاكيس الدولية» إليه، ومثل هذا النفوذ ينطوي على مسؤوليات لا تتعلق كلها بالشركة نفسها.

قال أخيراً: «أبي يموت».

فاجأه الشحوب الذي كسا وجهها، ورددت كلامه بضعف: «ليو يموت؟ يا إلهي! لماذا لم تخبرني؟ لا يمكنني أن أصدق ذلك. كان... كان قوياً ومعافى للغاية».

فأجاب بفتور: «السرطان لا يحترم القوة أو سواها. رأى ورماً في جسده فلم يهتم به بل قال إنه مشغول للغاية. وعندما ذهب ليرى

الطبيب، كان الوقت قد فات».

- يا إلهي!

ووضعت الفنجان من يدها وضغطت على خديها. ومرة أخرى، اغرورقت عيناها بالدموع: «مسكين ليو. كم كان طيباً وحنوناً! لطالما كان رقيقاً معي. كان يرحب بي دوماً بينما أمك لم تفعل هذا قط».

لم يعلق دميتري فهو يعرف أن ما تقوله صحيح. لم تشأ أمه قط أن يتزوج بفتاة إنكليزية، لأنّ قيمهن مختلفة للغاية. وفي النهاية تبيّن أنها على حق. حاولت جين أن تتمالك نفسها وسألته: «منذ متى وأنت تعلم بذلك؟ هل يريد أن يراني؟».

أرادت أن تعلم إن كان لهذا علاقة بطلب دميتري الطلاق. وفوجئ دميتري. رغم أنه كان متيقناً من أن أباه يحب أن يرى كنته مرة أخرى، إلا أنه علم أن أمه لن تسمح بهذا أبداً. فقد بقيت طوال السنوات الخمس الماضية تتوسل إلى ابنها لكي يحاول أن يجد طريقة يفسخ بها زواجه من جين. لكن، ويا للسخرية، لم يكن دميتري مستعجلاً على فسخ زواجه. فالزواج ملائم من كافة النواحي، خصوصاً لردع أي امرأة تسعى وراء المال. لكن هذا الانفصال لم يعد ينفع الآن، والطلاق هو الحل.

لا بد أن سكوته أعطاها الجواب، لأنها قالت: «أنا لا أفهم ما علاقة مرض أبيك بطلبك الطلاق؟».

تنهد دميتري ودس يديه في جيبيه وأجاب: «أبي يريد صغيراً، أحفاداً. وبما أن يانيس كاهن، وستيفن لا يهتم بالنساء، تقع المسؤولية عليّ أنا!».

فقالت متهكمة: «يا للرجعية!».

ثم قطبت جبينها وأردفت: «ولكن ماذا عنه... الصبي؟».

- ابن لانت؟ لقد مات مارك. ظننتك تعلمين.

www.rewity.com RYAHEEN

تملكها الغضب وانغرزت أظافرها في راحتيها: «لماذ ظننت ذلك بينما نحن لسنا على اتصال، يا دميتري؟».

هز كتفيه وكأنه يسلّم بصحة ما تقول: «أصيب مارك بذات الرئة عندما كان عمره أياماً فقط. حاول الأطباء إنقاذه لكنه كان صغيراً للغاية بعد أن ولد قبل أوانه، فلم يعش».

حبست جين أنفاسها وقالت بإخلاص: «مسكينة لانت».

فقال موافقاً وفي صوته مرارة: «نعم، مسكينة لانت. ابنها لا يستحق ذلك!».

هزت رأسها وهي تتناول فنجان قهوتها وقالت بطريقة حاولت أن تبدو عفوية: «أظنكما قررتما الزواج أخيراً، ستبتهج أمك بذلك».

لوى شفتيه عابساً وقال بخشونة: «كلا. لم تهمني لانت يوماً، بعكس ما ظننته. أنا أنوي الزواج من إريادن بافلوس. لعلك تتذكرين أسرة بافلوس. أنا وإريادن صديقان منذ الطفولة، وقد عادت مؤخراً من رحلة طويلة إلى الولايات المتحدة».

فقالت جين محاولة أن تخفي مشاعرها: «ما أحسن هذا!».

كانت صوفيا والدة إريادن، صديقة لوالدة دميتري، وهي أيضاً لم تكن موافقة على زواجهما.

وبللت شفتيها: «هل تعلم إريادن عن طفل لانت، هي أيضاً؟».

أجابها باختصار، مدركاً أنه يغوص في مياه عميقة: «إنها تعلم ما يكفي».

الماضي هو الماضي، ولا فائدة من نبشه الآن. ما كان له أن يحضر إلى هنا. كان عليه أن يأخذ بنصيحة محاميه ويدعه يعالج الأمر، لكنه لم يكن يدرك مدى خطورة لقائه جين مرة أخرى. وعندما أصبح الصمت لا يُحتمل، قال: «اسمعي. عليّ أن أذهب».

وأخذ نفساً عميقاً قبل أن يضيف: «أنا واثق من أنك تكرهينني

الآن. لكنني حقاً، لم أكن أنوي أن... أن...».

- تغويني؟

فغضب: «كلا، لم يكن ذلك إغواء. المسؤولية تقع على كلينا».

أظلم وجهه جين: «لا بأس. لعل وصفي لم يكن عادلاً. لكنها ليست المرة الأولى التي تستعمل فيها... ذلك.. ضدي».

شتم دميتري ثم قال: «ما الذي تتوقعين مني أن أقوله، يا جين؟ جئت إلى هنا لأنذرك بالنسبة إلى الطلاق، وهذا كل ما في الأمر. لم اتوقع أن أراك نصف عارية».

شهقت جين وقالت بصوت مختنق: «ماذا؟ هل أنا مغرية إلى هذا الحد حتى أغويك؟».

- شيئاً كهذا.

أدرك أنه لا يخدم نفسه بقوله هذا فوقف وسار نحو الباب: «سأبلغ المحامي بأن يتصل بك لمناقشة التفاصيل. بالرغم من... حسناً، بالرغم من وضعك، لن أعترض على أي مبلغ يطلبه محاميك».

قفزت جين من على الأريكة فكادت تهرق قهوتها وهتفت بغضب: «سبق وأخبرتك بأنني لا أريد نقودك، يا دميتري. أنا قادرة تماماً على إعالة نفسي. شكراً».

- ولكن...

- انس ذلك!

ومن دون أن تمنحه مزيداً من الوقت ليدافع عن نفسه أسرعت نحو الباب الخارجي وفتحته بعنف قائلة: «اخرج من هنا يا دميتري، قبل أن أقول ما أندم عليه».

* * *

عاد دميتري إلى كاليثي عصر ذلك اليوم.

كان مدعواً لحضور اجتماع «اتحاد منتجي البترول» لكنه جعل

مساعده يتصل بهم ويقدم اعتذاره عن الحضور.

لن يعجب ذلك والده الذي كان مسروراً للغاية لحصول شركته على مثل هذا الاحترام في البلاد المنتجة للبترول. كما أثبت ذلك أنه كان حكيماً حين سلّم مقاليد الشركة لابنه.

لكن دميتري لم تكن لديه مثل هذه الثقة. على أي حال، لقد أدرك أن ترؤسه مؤسسة مثل شركة «سوفاكيس الدولية» ستأخذ من وقته الكثير. ويمكن أن يقال حتى إن المسؤوليات التي تحملها منذ ثماني سنوات لعبت دوراً غير صغير في تحطيم زواجه. لو كان لديهما، هو وجين، مزيد من الوقت ليتحدث فيه عما حدث... مزيد من الوقت ليقنعها بأنه بريء من التهمة التي اتهمته بها، لما تركته. كانت قد صدقت أنه المسؤول عن حمل لانت ولم يستطع أن يقنعها ببراءته.

عندما حطّت الطائرة في الجزيرة، كان الوقت ليلاً. كان مهبط الطائرات خاصاً ومن ممتلكات الأسرة. فرغم أن الجزيرة تجذب السياح، إلا أنهم يأتون إليها بواسطة المعديّات التي ترسو في ميناء كاليثي جنوب الجزيرة.

الأنوار التي تضيء مدرج المطار دليل على أن والده استلم الرسالة التي أرسلها لإبلاغهم بحضوره.

كان مساعده الخاص، ثيو فازيليس، يرافقه وهو أول من نزل من الطائرة، لينظم مسألة نقلهما إلى قرية سوفاكيس. رأى سيارة رباعية الدفع تقف إلى جانب الطريق تنتظر أن تحط الطائرة. وعندما وصل دميتري إليها ليستقلها، اكتشف أن السائق ليس سائق أبيه بل كانت إريادن بافلوس. وكانت شفتاها المصبوغتان منفرجتين عن ابتسامة هي مزيج من الترحيب والغرور. عندما صعد دميتري وجلس بجانبها، قالت: «إيه... مفاجأة لطيفة، أليس كذلك؟».

توتر فكه لحظة. إذ كان يفضل أن لا يواجه إريادن بافلوس

الليلة، لكنه أرغم نفسه على ابتسامة، ثم مال يعانقها ويقول كاذباً: «مفاجأة لطيفة جداً. هل انتظرت طويلاً؟».

ردّت بمكر: «انتظرت ست سنوات فقط. هل اشتقت إليّ؟».

أخذ يربط حزام الأمان، متجنباً أي إجابة مباشرة: «ما رأيك؟».

ثم سألها مغيراً الموضوع: «كيف حال أبي؟ لا أظنه مسروراً لأنني لن أحضر مؤتمر اتحاد منتجي البترول».

قالت بعدم مبالاة: «إنه.. لا بأس به».

ونظرت من حولها بشيء من فروغ الصبر عندما ألقى مساعده ثيو فازيلين بأمتعتهما الثقيلة داخل صندوق السيارة، ثم ازداد اتساع عينيها عندما فتح ثيو باب السيارة الخلفي وصعد. التفتت إلى دميتري بسرعة: «هل يجب أن يأتي معنا؟».

- لماذا لا؟

كان جواب دميتري بريئاً نسبياً، لكنه لم ينكر شعوراً بالارتياح لأن ثيو سيرافقهما. أومأ إلى الكمبيوتر المحمول الذي بحوزة الرجل الآخر: «أبي ينتظر مني تقريراً عن الاجتماع الذي حضرناه اثناء وجودنا في لندن».

- الاجتماع مع زوجتك؟ نعم. يهمني أن أسمع التفاصيل أنا أيضاً.

وتوهجت عيناها السوداوان حقداً لكن دميتري زفر طويلاً وقال: «ليس ذلك الاجتماع. إنه عن اجتماعنا مع شركائنا في العمل.

- لكنها اجتماعات مملة للغاية، أليس كذلك؟ أخبرني عن زوجتك، ما رأيك؟ هل ستصعّب الأمور؟.

تصعّب الأمورا وكبح دميتري آهة إحباط تصاعدت من أعماقه، لكنه أجاب: «ما من صعوبات».

والتفت إلى ثيو يسأله: «هل جمعت كل الأوراق من الطائرة؟».

www.rewity.com

ما يعنيه كان واضحاً تماماً، وكانت أدريان أذكى من أن تستمر في النقاش. سيكون لديهما ما يكفي من الوقت في ما بعد. وكاد ديميتري يسمع أفكارها. تباً لذلك! لماذا لا ؟ فبسببها وبسبب مرض أبيه ذهب ليرى جين.

سارت بهم السيارة في الطرقات الريفية الضيقة التي تفضي إلى قرية سوفاكيس. لم يرَ على ضوء السيارة سوى الحشائش التي تنمو على جوانب الطريق وبعض أشجار السرو. لكن ديميتري كان يعلم أن كثبان الرمال تمتد بموازاة الطريق، ومن خلفها المياه الفيروزية اللون لبحر «إيجه». كان الفصل ربيعاً حيث يحلو للمرء أن يستيقظ ويسمع هدير البحر بدلاً من الضجيج وزحمة السير. لكن التفكير في لندن ليس بالأمر الحكيم في هذه الظروف. فهو يذكره كثيراً بما حدث في بداية هذا النهار. ولم يستطع إلا أن يقارن بين حسن مظهر إريادن الأسمر والمثير نوعاً ما، وبين جمال زوجته النحيلة الأشقر. كانتا مختلفتين تماماً بحيث لا يمكن أن تقوم بينهما مقارنة. فإريادن ممتلئة الجسم وشهوانية بينما جين طويلة ونحيلة، وهي تخفي طبيعتها الشهوانية خلف مظهر هادئ منضبط. طرد تلك الأفكار من ذهنه وسألها: «هل حضرت عرس ابنة عمك؟».

- جوليا؟ طبعاً.

وهزت كتفيها عندما ظهرت أمامهما البوابة الخشبية المرتفعة التي تمثل المدخل إلى الضيعة. أضاءت مصابيح السيارة، فظهر رجل من منزل البواب الأبيض، وهرع يرفع المزلاج، بينما كانت إريادن تتابع: «وبطبيعة الحال، كنت المرأة الوحيدة التي بدون مرافق. قالت لي ثيا ثيرميا انه ما كان ينبغي لي أن أدعك ترحل في ظرف كهذا».

توترت شفتاه. لم يكن يهمه ما تقوله ثيرميا أدونيدس عنه. إنها والدة لانت أيضاً ولهذا كانت تكرهه وقد حيّره أنها لم تحاول أن تحبط

علاقته بإريادن، ولكن يبدو أن فوائد ثرائه كفيلة بأن تمحو أية شكوك قد تنشرها.

رفع ديميتري يده يحيّي البواب «جورجيوس»، لتتابع السيارة بعد ذلك طريقها حتى وصلت بهم إلى باب المنزل الرئيسي. الفيلا التي كانت تنتصب على هضبة صغيرة تشرف على البحر مازال يسكنها والداه. وكان ديميتري قد بنى بيته الخاص في الأملاك. ولكن منذ فارقته جين، مال إلى الإقامة معظم الوقت في مكان آخر.

دوماً كانت أمه تشكو من أنهما لا يريانه كثيراً. وكان ديميتري لا يمضي من الوقت في البيت إلا قليلاً، فقد كان يجهد نفسه في العمل، ولا ينكران أن عمله قد أنقذ صحة عقله. ولو كان أجهد نفسه في اللعب أيضاً، لحدث نفسه بأنه يستحق ذلك. وكان واثقاً من أنه لن يستسلم إلى إغراء امرأة أخرى، ولم يفكر في الزواج إلا بعد أن مرض والده وأيقن هو أن مرضه مهلك. وكانت إريادن هي المرشحة الكاملة الصفات، فقد كانت يونانية وأمه موافقة عليها.

أوقفت إريادن السيارة وأطفأت المحرك. ولكن عندما قفز ثيو إلى الخارج وهمّ ديميتري بأن يفتح الباب أمسكت بذراعه قائلة بصوت أجش: «انتظر. تحدّث إليّ يا ديميتري. قل لي أنك لم تغير فكرك».

حدّق إليها، وكانت أضواء الفناء تكشف القلق على ملامحها. وفجأة شعر بالذنب. فقال وهو يلامس وجنتها: «أغير فكري يا حبيبتي؟ ما الذي أعطاك هذه الفكرة؟».

٤ - دعوة مفاجئة

حسناً... إنها حامل.

حاولت أن تفكر بشكل عملي، فأخذت نفساً عميقاً ثم أعادت الاختبار التي أجرته إلى حقيبة يدها. إنه ثالث اختبار حمل تأتي نتيجته إيجابية. ومهما حاولت أن تقنع نفسها بأن هذه الاختبارات قد تخطىء، لم تستطع أن تصدق أن الخطأ قد يتكرر ثلاث مرات. تباً!

كبحت دمعة وهي تتساءل كيف حدث هذا؟ عندما كان تعيش معه لم تترك شيئاً للصدفة. في البداية، اتفقا على أن إنجاب الأطفال يمكنه أن ينتظر لعام أو عامين على الأقل. وبما أنّ جين أرادت أن تستمر في العمل، فتح لها ديميتري معرض فنون في مدينة كاليثي نفسها. وبقيت على اتصال بأولغا التي سرّها أن تتبادل اللوحات الفنية والآثار القديمة مع تلميذتها السابقة.

مضت الأمور بنجاح تام. وبما أنها تمتلك المعرض استطاعت أن ترافق ديميتري في رحلات العمل كلما شاءت. كانت حياة شاعرية ملأتها سعادة.

وفجأة، كشفت لانت أنها حامل، لينهار بيتها الكرتوني فوق رأسها. ولم تستطع جين أن تغفر لديميتري لكن عزاءها الوحيد هو أنها لم ترزق بأولاد يتألمون من تحطم زواج والديهما.

وتنهدت... عندما عانقها ديميتري لم يخطر في بالها، أن تتخذ أي احتياطات لئلا تحمل. كانت تريده بقدر ما يريدها هو أيضاً، وكان

سهلاً عليها للغاية أن تقنع نفسها بأنه لا يستغلها لهدف ما. لم تفكر في ذلك حتى أسبوعين فقط، عندما لاحظت أن دورتها الشهرية انقطعت. مضت خمسة أسابيع منذ جاء ديميتري إلى شقتها تلقت بعدها إشعاراً بأنه اتصل بمحاميه بشأن الطلاق. يا إلهي... ماذا ستفعل الآن؟ وصول مخدومتها جعلها ترجئ المشكلة إلى وقت لاحق.

كانت أولغا إيفانوفتيش في السبعين من عمرها تقريباً، لكنها دخلت مكتب جين في المعرض بحيوية الشباب.

في تنورتها الطويلة والكاب القصير الذي يموج حول قامتها الطويلة الممتلئة، راحت أولغا تتنقل في أنحاء المعرض بينما جين تراقبها باسمة.

مشطت أولغا بأصابعها شعرها الأحمر وقالت بفروغ صبر: «هل جاء؟».

أجابت جين وقد أدركت على الفور من تعني أولغا بسؤالها: «جاء».

كانتا تتحدثان عن جامع مشهور للآثار القديمة أعرب عن رغبته في شراء مجموعة من البرونز أحضرتها جين معها من بانكوك. وكان قد وعد بزيارة المعرض في ذلك الصباح فسألتها أولغا بلهفة: «ثم؟».

فأجابت جين بجفاء: «ثم اشتراها. إنه يريد أن نرسلها إلى بيته في سافولك».

- رائع! ستحصلين على عمولة كبيرة أيضاً. لقد قمت بعمل جيد. يجب أن أرسلك في رحلة أخرى فأنت بارعة في العثور على كنوز في أماكن لا يتوقعها أحد.

منحتها جين ابتسامة باهتةوقد عجزت عن التفكير في أي شيء آخر عدا نتيجة الفحص الموجودة في حقيبة يدها. وتحسست يدها بطنها غير مصدقة. هل ينمو طفل ديميتري في داخلها؟ كم سيحتاج من الوقت كي يمكن للآخرين ملاحظته وقبل أن يتملك أولغا الشك في وجود

www.rewity.com REWAHEEN

تغيير ما؟

وشعرت أولغا بذهول جين، فجلست على زاوية المكتب وقالت لها: «تبدين شاحبة، هل تنالين قسطاً كافياً من النوم؟ أم أن فتاك يبقيك مستيقظة حتى منتصف الليل؟».

- ليس لدي فتى يا أولغا. لطالما أخبرتك بذلك، أنا وأليكس هانتر مجرد صديقين.

- هل يعرف هو ذلك؟

بعد أن اطمأنت أولغا إلى أخبار المجموعة البرونزية تحوّل اهتمامها إلى مساعدتها. ماذا ستفعل عندما تعلم أن جين حامل؟

كيف سيكون ردة فعل أليكس بعد أن أخبرته أن علاقتها بديميتري انتهت؟

وسألت أولغا، تريد كسب الوقت: «آسفة. لم أسمع».

- السيد هانتر. سألتك إن كان يعلم أنك لا تكنين له سوى مشاعر الصداقة؟

- علاقتنا ليست جادة إلى هذا الحد. اليكس يعجبني فهو رفيق طيب، لكننا لم نعرف بعضنا البعض إلا منذ وقت قصير.

فقالت أولغا بإصرار: «بل منذ وقت كافٍ. إنني قلقة عليك يا جين. متى ستضعين الماضي خلفك وتتابعين حياتك؟».

- آه... أنا...

كانت جين لا تزال تبحث عن جواب عندما عادت أولغا تقول: «ألم يحن الوقت بعد للتفكير في الطلاق؟».

قوة الملاحظة عند أولغا مخيفة للغاية أحياناً. وربما كان هذا ليعجبها في وقت آخر لكن ليس الآن وهي تريد أن تحتفظ بأفكارها لنفسها. وفيما أولغا تنتظر جواب جين، أخرجت من جيبها علبة سكائرها المفضلة، ووضعت سيكارة في فمها ثم أشعلتها. لم تحب جين

قط رائحة السكائر، لكنها وجدتها هذا الصباح تثير الغثيان. وشعرت بالقيء يصعد إلى حلقها فاندفعت إلى خارج الغرفة بعنف.

وفي الحمام الصغير أخذت تتقيأ بشدة ثم استندت إلى الجدار واضعة منديلاً ورقياً على فمها، وهي تفكر في أنها لم تشعر بمثل هذا منذ وقت طويل.

ما الذي أكلته؟ لم تتناول إلا بعض «التوست».

لم تشأ أن تتناول الفطور، وقد شعرت بوعكة حالما نزلت من الفراش.

وشعرت بغبائها فما تحس به ليس تسمماً غذائياً أو تقززاً من رائحة سجائر أولغا، بل بداية القيء الصباحي. وإذا كانت بحاجة إلى برهان جديد عن حالتها، فهذا هو البرهان.

نبهها طرق متردد على الباب: «جين، جين، هل أنت بخير؟».

جاهدت للتحكم في نفسها، واستطاعت أن تقول: «أنا بخير يا أولغا، أظنني أكلت طعاماً فاسداً. وعندما اشتممت رائحة سيجارتك...».

فقالت أولغا بذعر: «يا إلهي، هل جعلتك سيجارتي مريضة؟».

- لا، لا... هذا غير صحيح.

وشعرت جين بالخجل. لا يمكنها أن تلوم أولغا على ما اقترفته هي. فتحت الباب فوجدت المرأة العجوز تنتظر خارجاً وهي تعتصر يديها بقلق: «آسفة لهذا».

قالت أولغا كلاماً لم تفهمه جين، ثم أحاطت كتفيها بذراعها.

سألتها باهتمام واضح: «هل أنت واثقة من أنك والسيد هانتر مجرد صديقين؟».

- ماذا تعنين؟

حاولت أن تتصنع عدم الفهم لكنها لم تستطع. وتنهدت أولغا

ونظرت إليها بإمعان: «لأنني... لأنني أتساءل عما إذا كان ثمة سبب آخر خلف شعورك بالمرض هذا.».

- سبب آخر؟

وابتلعت ريقها فقالت أولغا وهي تمسك بكتفيها ما جعلها عاجزة عن تجنب نظراتها الحادة: «لعلك تخدعين نفسك؟».

- أخدع نفسي؟

وتنهدت متسائلة عما إذا كان عليها أن تدّعي أنها لم تفهم ثم أذعنت وقالت: «هل تشيرين إلى أنني قد أكون حاملاً؟ هل هذا ما تظنينه؟».

هزت أولغا رأسها: «أقول إن عليك وضع ذلك في الاعتبار... لا؟ لن تكوني أول شابة يفتنها شاب وسيم مثل السيد هانتر».

أشاحت جين برأسها، وهتفت بغضب: «أخبرتك أن لا شيء بين وبين اليكس...».

فقالت أولغا بارتياب: «أبداً؟».

فردت جين بخشونة: «أبداً. والآن، هل يمكننا أن نتحدث في موضوع آخر؟».

ومسحت فمها لآخرة مرة، ثم سارت متوجهة إلى المكتب وهي تسأل: «هل فكرت من أين يمكن أن نحصل على قطع أخرى يريدها السير جورج؟».

هزت أولغا كتفيها وهي تتبعها ببطء وأدركت جين أن المرأة العجوز ما زالت غير مقتنعة بجوابها.

على أيّ حال، لم يكن لديها القدرة على أن تناقش وضعها مع أحد حتى تقرر ما عليها أن تفعله. فهي نفسها لم تتعوّد بعد على فكرة أنها حامل.

لكن، خلال النهار، وجدت جين أفكارها تنحصر في المأزق الذي

تواجهه. ماذا عليها أن تفعل؟

متى عليها أن تقرر ما إذا كانت ستحتفظ بالطفل أم لا؟ فعلى الرغم من راتبها الكبير لن تتمكن من توفير الرعاية اللازمة للطفل وحدها في لندن.

كان البديل هو أن تخبر ديميتري عن الطفل. لكن كيف يمكنها أن تخبر زوجها أنها حامل بينما هو يستعد للطلاق؟ كما أن عليها أن تراعي الآخرين، خصوصاً المرأة التي سيتزوجها. يمكنها أن تتخيل رد فعل أمه ماريا سوفاكيس عندما تعلم أن ابنها أصبح أباً لطفل آخر من الفتاة الإنكليزية التي تحتقرها.

جمعت جين حوائجها باكراً وغادرت متجهة إلى بيتها بعد أن أخبرت أولغا بأنها تشعر بالبرد آملة أن يحوّل ادعاها هذا ذهن مخدومتها عن شكوكها. لكنها شعرت بنظرات المرأة تنصبّ عليها وهي تنزل السلالم خارجة من المعرض، فأدركت أنها لم تنجح. كان الجوّ ماطراً فاستقلت الحافلة. وتملكها ارتياح بالغ وهي تدخل إلى شقتها الفسيحة. ما أجمل أن تجلس على الأريكة مع فنجان من الشاي! لم تجلس طويلاً لأن رنين الهاتف تصاعد. وافترضت جين أن أمها اتصلت بالمعرض فأخبرتها أولغا أنها عادت إلى المنزل، لكنها أملت ألّا تكون مخدومتها قد أسرّت إلى أمها بهواجسها.

بقيت عشر ثوانٍ تفكر في عدم الرد، لكن احتمال أن يكون المتصل شخصاً آخر جعلها ترفع السماعة وتقول واعية إلى نبرة الجفاء في صوتها: «نعم».

وكادت السماعة تسقط من يدها عندما سمعت صوت ديميتري العميق يقول بجفاء: «أرى أن طبعك لم يتحسن. ما الذي كدّرك هذه المرة؟».

حبست أنفاسها ثم تمالكت نفسها وقالت: «ما من أحد كدّرني يا

www.rewity.com

دميتري. فأنا لم أتحدث إليك منذ أسابيع».

شخر قائلاً: «تعليقاتك اللاذعة جاهزة دوماً. فكرت في أنك تتوقعين مني أن أتصل».

قطبت جبينها وقالت بحدة: «ولماذا أتوقع منك أن تتصل؟».

وتساءلت عما إذا أغفلت رسالة ما في بريد اليوم، رسالة تتعلّق بالطلاق، فما من سبب آخر يجعل دميتري يتصل بها.

- لقد تحدثت إلى أمك. لم يكن لدي رقم هاتف المعرض، فاضطررت إلى الاتصال بها. لقد أعطتني الرقم إنما بشيء من النفور... أنت امرأة مراوغة، يا جين... أرجو أن تكون صحتك قد تحسنت.

بللت جين شفتيها وأخذت تتساءل بشيء من الخشية عما أخبرته به أولغا. لكنها طمأنت نفسها بأن ليس ثمة ما يستوجب الخوف.

- أظن أنّ أولغا أخبرتك أنني عدت إلى البيت بعد أن شعرت بوعكة.

- شيء كهذا. أرجو ألّا يكون الأمر خطراً.

بل خطر بما يكفي، لكن دميتري لم يتصل لكي يتحدث عن صحتها. وقالت: «مجرد رشح».

وغيّرت مجرى الحديث فسألته: «ما الذي تريده يا دميتري؟».

وخطرت لها فكرة فأضاف: «هل ساءت حالة أبيك؟».

- لا. في الحقيقة، يبدو أحسن حالاً. يبدو أن الدواء الذي وصفه له الطبيب أفاده.

- يسرّني هذا. أرجو أن تبلغه أفضل تمنياتي حين تراه. إنني أفكر فيه كثيراً.

- أحقاً؟

- نعم، حقاً.

أزعجتها نبرة عدم التصديق في صوته فأضافت: «أن يأخذ رجل ما يريد من دون أيّ اهتمام بالنتائج، لا يعني أن والده يستحق ازدرائي».

سمعته يتنفس بغضب: «ما زلت تتحدثين عن لانت، كما أظن».

فازدردت ريقها: «ومن غيرها؟».

- لا أدري. ظننتك تذكرينني بما حدث عندما ذهبت إلى شقتك.

كان صوته ساخراً الآن فتوترت أصابعها حول السماعة وقالت: «وهل تحتاج إلى تذكير؟».

شتم دميتري وقال: «كان ذلك جيداً يا جين، لكن ليس تماماً. إذا ظننت أن هذا ما أريد أن أحدثك عنه، فأنت تضيعين وقتك سدى».

شهقت: «يا لك من... يا لك من.!».

فقال يكمل كلامها ببرودة: «نغل؟ أعرف رأيك فيّ، يا جين. لست بحاجة لأن تعيديه على مسامعي».

- لما تتصل بي إذن؟ إن لم يكن للاعتذار فلا أظنني أريد سماع ما تريد أن تقوله.

همّت بأن تضع السماعة لكنه قال لها بسرعة: «انتظري».

ترددت، فسارع يقول: «أبي... أبي يريد أن يراك. لا تسأليني لماذا، لكنه يريد ذلك. فهل ستأتين؟».

تملكها الذهول: «إلى اليونان؟».

- إلى كاليثي، طبعاً.

لم تستطع أن تصدق: «أنت لست جاداً».

- لماذا لا؟ إذا قبلت دعوته فسيعتبر ذلك كرماً منك.

- ولكن..

ثمة موانع كثيرة لم تجرؤ على التفكير فيها: «لن توافق أمك على ذلك أبداً».

- ليس لديها خيار.
- كما أنك لا تريدني هناك...
- هذا غير مهم.
- لا يمكنني أن أترك عملي فأولغا تعتمد عليّ.
- خذي إجازة مرضية. إذا كان المال هو ما يهمك...؟

قالت على الفور، مشمئزة من فكرة أن المال يمكن أن يحلّ كافة المشاكل: «هذا غير صحيح».

- ما من مشكلة إذن، إلا إذا كنت خائفة من أن ألّا يوافق حبيبك على ذلك. لم تخبريني بأن لديك حبيباً، يا جين. منذ متى؟.

حبست جين أنفاسها. أرادت أن تقول إن هذا ليس من شأنه، لكنها فضّلت أن تعتمد الصدق: «أليكس هانتر صديق وليس حبيباً. أظن أن أولغا أخبرتك عنه. حسناً، إنها حريصة جداً على أن أجد شخصاً يهتم بي».

- وهل يفعل هذا؟

أجفلت وتملكها الإضطراب: «يفعل ماذا؟».

- يهتم بك؟ قالت لي مخدومتك إنه محاسب ولديه وظيفة جيدة جداً. لا أستطيع أن أراك مع محاسب يا صغيرتي...

وجدت جين نفسها مضطرة إلى الدفاع عن هانتر فقالت: «من أختار كصديق ليس من شأنك. هل تريدني حقاً أن أقبل دعوة أبيك؟ لماذا يريد أن يراني؟ هل تعرف؟».

وهزت رأسها غير مصدقة، فقال بكآبة: «لعله يريد أن يودعك. أرجو أن تضعي خلافاتنا جانباً خلال الأيام القليلة التي مضينها في الفيلا. وسأحرص أنا على الابتعاد عن طريقك».

٥ - عودة وحنين

كان الوقت عصراً عندما رست المعدية في كاليتي. استغرقت الرحلة من أندروس المطار الذي وصلت جين إليه من إنكلترا ثلاث ساعات. وعندما وصلت إلى الشاطئ كانت مرهقة جداً.

مضى على اتصال دميتري أسبوع وخمسة أيام وقد أكّد الطبيب حملها. لم تخبر أحداً عن حملها بالرغم من أن غثيان الصباح لم يخفّ. وكانت تعلم أن أولغا لم تنخدع حين أصرت على أنها التقطت جرثومة. أما أمها التي أعلمتها بسفرها فافترضت أن حالة ابنتها ناتجة عن توجسها من رؤية أسرة زوجها مرة أخرى. ورأت أن على جين أن ترفض الدعوة، فهي مدعاة للسخرية مادام دميتري وجين يخططان للطلاق.

وكان هذا رأي أولغا أيضاً. وبما أنها لم تعلم بزيارة دميتري، فكان طبيعياً أن تعتقد أن مسؤولية حمل جين تقع على أليكس. لحسن الحظ أن اليكس الذي يعمل في الشركة المسؤولة عن حسابات أولغا، لا يعلم شيئاً عن شكوكها. وكان يعارض فكرة سفرها كلياً. وعندما اتصلت به جين لتعلمه، هتف قائلاً: «يبدو لي مضحكاً أنه وبعد أسابيع فقط من إبلاغك بأنه يريد الطلاق، ها هو يقترح عليك الذهاب إلى هناك لرؤية أبيه. أتثقين به؟ ألا تظنين أن هذه مجرد خدعة لاستعادتك؟».

- أرجوك!

www.liilas.com

بعد يوم مرهق، وجدت جين صعوبة في أن تحافظ على صبرها. وكانت قد أجرت مثل هذا النقاش مع أولغا التي لم يسرّها أن تأخذ مساعدتها إجازة من دون سابق إنذار. وتابعت جين تقول لأليكس: «أخبرتك أن دميتري يريد الطلاق. لكن.. حسناً، إن والده مريض جداً. يقول إنه يريد أن يراني».

سارع اليكس يقول عند سماعه هذه الكلمة: «هو يقول؟ إذن لديك كلمته فقط بأن ليو سوفاكيس مريض؟».

- لن يكذب دميتري في موضوع كهذا.

أجابته جين بحزم، متسائلة عن سبب تأكدها من صدق دميتري بينما سبق له أن كذب عليها. تابعت تقول: «كما أن لديه صديقة سيتزوجها بعد أن يتحرر. وهي يونانية».

- فهمت.

جوابها جعله يهدأ، لكن جين تساءلت عما إذا كانت أولغا على صواب في ظنها أنه يضمر لها أكثر من مجرد مشاعر صداقة بريئة. فالصديق العادي لا يستجوبها بهذا الشكل، ولا يتصرف كما لو أن له حقاً عليها. وعندما سألها كم ستطول إقامتها في اليونان، أجابته بغموض.

وهي ها الآن تسير على تراب اليونان مرة أخرى، متسائلة عما إذا كانت حكيمة في قدومها إلى هنا.

ما الذي ستشعر به، وهي ترى دميتري مرة أخرى، عالمة أنها حامل بطفله؟ فعلى الرغم مما قاله، كانت واثقة من أنها ستراه، فهو لن يهمل والديه فقط لمجرد أنها تريده أن يبقى بعيداً.

كان لديها حقيبة واحدة هي كيس ضخم يمكنها أن تعلقه في كتفها. لم ترَ أيّ أثر لدميتري، لكنها لم تستطع أن تمنع الشعور بالحذر الذي ساورها. كانت تعلم أن المسافة بين الميناء الصغير وقرية

سوفاكيس تستغرق عشرين دقيقة بالسيارة لكنها لم تتذكر أنها رأت مرة سيارة أجرة. أو احتاجت واحدة، فقد أعطاها دميتري السيارة الرياضية الصغيرة لاستعمالها الخاص.

كانت تتسكع بجانب اكياس الغلال التي أنزلت من المعدية عندما رأت امرأة تنظر إليها. لم تتذكر أنها رأتها من قبل، ومع ذلك لفتها شيء مألوف فيها. كانت معتدلة الطول ذات ملامح أجنبية قوية ما جعلها كالكثيرات من نساء اليونان اللواتي رأتهن جين في الماضي. لكن ملابسها ووقفتها جعلا قلب جين يخفق بعنف عندما اتجهت هذه نحوها: «هل أنت جين؟».

لكنتها جعلت كلماتها صعبة الفهم، أو لعل نطقها باسم جين بذلك الاستخفاف هو ما جعله يبدو مختلفاً.

وبما أنّ جين كانت متعبة ولا تشعر نحوها بمودة، أجابت: «هذا صحيح. هل أرسلوك لتستقبليني؟».

نظرت إليها المرأة من رأسها إلى أخمص قدميها قبل أن تجيب: «بل أنا جئت لكي استقبلك. رأت ماريا سوفاكيس أن من الأفضل أن نتعارف، أنا إريادن بافلوس. أنا ودميتري سنتزوج بعد أن يتحرر من زواجه بك».

فوجئت جين. رغم إدراكها أن هذه هي عادة والدة دميتري في التصرّف. إرسال حبيبة دميتري الجديدة.. وخطيبة المستقبل لتستقبلها. وتساءلت إن كان دميتري يعلم هذا وافترضت أن عليه أن يعلم. فما يحدث هنا من دون علمه نادر للغاية.

- ما أحسن هذا!

لم تشأ أن تدع إريادن تدرك أنها أزعجتها. ونظرت من حولها: «هل لديك سيارة؟».

- طبعاً، إنها هناك. هلاّ رافقتني؟

بدا واضحاً أن إريادن لم تتوقع أن تتقبّل جين الأمر بكل هذا الهدوء.

كانت السيارة مألوفة إلى حدّ مؤلم. فاريادن تقود السيارة الحمراء الرياضية التي اشتراها لها دميتري. وأدركت جين أن هذا من عمل ماريا مرة أخرى، وغم أن إريادن شريكتها. لم تستطع أن تجزم ما إذا كانت والدة دميتري قد خططت لذلك أم أنّ الأمر مجرد وسوسة منها.

كانت حرارة النهار قد خفّت لحسن الحظ، وكانت الجزيرة تسبح في نور ذهبي دافئ. ألقت بكيس السفر في صندوق السيارة الخلفي، ثم جلست بجانب إريادن التي قالت: «حسناً فلنذهب».

تكلمت بلغة هي مزيج من الإنكليزية واليونانية، وإذا ظنت أن جين قد لا تفهم ما تقول فهي مخطئة. فعلى الرغم من أنها لم تسكن في كاليثي سوى عامين ونيف، إلا أنها استطاعت أن تكتسب مقدارا جيداً من اللغة.

كانت بحاجة لأن تفعل ذلك لكي تستطيع إدارة معرضها.

كما أن دميتري أرادها أن تتكلم بلغته، خصوصاً في اللحظات الحميمة...

كانت الذكريات مزعجة خصوصاً وهي تجلس بجانب الفتاة التي ستصبح زوجته قريباً. وبشكل لا إرادي مررت يداً متوترة على الانتفاخ الخفيف في بطنها. حدّثها عقلها بأن عليها أن تخبر دميتري عن الطفل، لكن آخر ما تريده هو أن يظنها تريد أن تعود إليه.

- كم من الوقت ستمكثين هنا؟

قاطع سؤال إريادن مجرى أفكارها المضطربة ولعل هذا أمر حسن، فهي ليست هنا تلبية لدعوة دميتري.. بل لأن أباه يريد أن يراها.

أجابت رغم أنها حجزت للعودة في نهاية الأسبوع: «لا أدري».

وأخذت تنظر إلى الرأس البحري والمنحدرات الوعرة المتجهة إلى مياه البحر الفيروزية التي تلعق الشاطىء. كانت قد نسيت تماماً مدى جمال المنطقة. وسألت: «كيف حال ليو؟ يقول دميتري إنه يشعر بتحسن».

نظرت إليها إريادن: «السيد سوفاكيس؟ حسناً... إنه مشوش الذهن نوعاً ما. كنا قلقين جداً عليه».

- أنا واثقة من ذلك.

حاولت جين أن تشعر نحوها بالعطف، لكنها شعرت بان إريادن مهتمة بوجودها هنا أكثر من اهتمامها بوالد دميتري، فقد كانت كلماتها خالية من المشاعر.

- إنه مثلهف جداً لأن يرى دميتري سعيداً.

وتابعت إريادن كلامها غير واعية إلى أنها تتكلم خارج الموضوع: «ليس حسناً أن يبقى الرجل من دون زوجة أو أسرة».

فتوترت شفتا جين: «إن دميتري متزوج».

لم تستطع أن تقاوم رغبتها في الرد، فألقت إريادن عليها نظرة ذات معنى: «لن يدوم هذا طويلاً. أخبرني دميتري أنك لن تثيري أي مشكلة بالنسبة للطلاق».

- أحقاً أخبرك؟

رغبت في أن تقول إنه كان عليه أن يفكر في ذلك قبل أن يغويها، لكن القسوة لم تكن من طباعها، وقالت: «لعله هو على حق».

- لعله؟

أشاحت جين بوجهها نحو البحر: «أين دميتري؟ هل هو في البيت؟».

ساد صمت قصير قالت إريادن بعده بكراهية واضحة: «إنه في رحلة عمل، ولن يعود قبل نهاية الأسبوع».

www.rewity.com REWITY RAYAHEEN

شعرت جين بالألم يتملكها، لكنه لم يكن ألماً جسمانياً. رغم علمها أن ديميتري تصرف كما وعدها ألاّ أنّ هذا الخبر دمرها فهو يعني أنها لن تراه.

- كنت تتوقعين رؤيته، أليس كذلك؟

لم تشأ إريادن أن تبقى صامتة، وعضت جين لسانها كيلا تتلفظ بالجواب المرّ الذي أوشكت على النطق به، وقالت: «أنت مخطئة تماماً... كدنا نصل».

كل شيء بدا مألوفاً إلى حد مؤلم. البوابة الخشبية والطريق المتعرج الذي تقوم الأشجار على جانبيه مشكلة ستاراً كاملاً للبيت، ثم الفيلا الفسيحة الفخمة البيضاء اللون. كانت مصاريع النوافذ مفتوحة كما كان قرميد السطح يعكس أشعة شمس العصر. شهقت جين بالرغم عنها لكنها أسرعت تخفي ذلك، فلا لزوم للشعور بكل هذا الحنين لمجرد أن الذكريات غمرتها.. فقد تركت الجزيرة بإرادتها بعد أن كادت خيانة زوجها تدمرها.

أوقفت إريادن السيارة فترجلت جين منها قبل أن تتكلم الفتاة. لم تطلب المجيء الى هنا وليس في نيتها أن تخفف من مخاوف إريادن. إذا كان لديها شكوك من ناحية ديميتري، فلتواجه ذلك.

جل ما تريده جين هو أن تقوم بما يتوجب عليها ثم ترحل.

ظهر خادم بينما كانت جين تتناول كيس أمتعتها، فسرّها أن تسلّمه هذه المهمة. شعرت بالضيق من سخافة وضعها، راجية أن تصل إلى غرفتها وتجد وقتاً تصلح فيه مظهرها قبل أن تجتمع بوالدي ديميتري.

أخذ الخادم يتحدث باليونانية وهو يعلق الكيس على كتفه، فالتفتت جين إلى إريادن التي وقفت بجانب السيارة فقالت هذه وهي ترفع حاجبها بغطرسة: «يقول إنه ينتظرك ليريك غرفتك».

أومأت جين بشيء من الضيق: «إنني أفهم اليونانية قليلاً، أشكرك على استقبالك لي يا إريادن. أتوقع أن أراك في ما بعد».

توترت شفتا إريادن: «بكل تأكيد. دعتني السيدة سوفاكيس للمكوث هنا عدة أيام. قالت إن الأمر ربما يكون.. أسهل بهذا الشكل».

أسهل لمن؟ أخذت جين تتساءل بينما هي تتبع الخادم عبر الفناء صعوداً إلى شرفة مسقوفة بعرائش من الأزهار.

كان الباب الواسع مفتوحاً على ردهة فسيحة مبلطة بالرخام تؤدي إلى قاعة استقبال مبردة بمراوح ضخمة معلقة في السقف.

أشار الخادم إلى جين لتتبعه إلى حيث الأرض مبلّطة بالآجر اللامع، فمرا بالنافورة التي تومض ويخيط بها تماثيل الآلهة التي حكمت يوماً ما هذه الجزر، ثم صعدا السلم الفسيح إلى الطابق العلوي. وكانت جين تعجب أثناء صعودها، لأريج الأزهار الذي لا تجد له مثيلاً في وطنها.

كانت تعلم، منذ سكنت هذه الجزيرة، أن الفيلا مؤلفة من طابقين وجناحين. وعندما كانا هي وديميتري، يقيمان هنا شغلا الغرف الواقعة في نهاية الجناح الأيمن، لكن يبدو أنها ستقيم في مكان آخر الآن.

ألقت نظرة على المشهد البادي تحتها، فصعقت لشعور العزلة الذي تملكها. لم ترَ سوى الخدم. ورغم أنها كانت ترجو أن تهرب إلى غرفتها من دون أن ترى والدة ديميتري، إلا أنها شعرت بالإهانة لأنها لم تجد أحداً في استقبالها. لعل هذا ما تريده الأم، لكنها رفضت أن تدع تصرف تلك المرأة يؤثر فيها.

لعلها تحاول أن تريها أنها هنا في غير مكانها الطبيعي، لكن جمال هذه الغرف العالية السقف التي تتصل ببعضها البعض، وذات الجدران

المكسوة بالحرير والجلد الفاخر، بدا مذهلاً للغاية. كانت أسرة سوفاكيس أسطورية الثراء، وهذا ما جعل علاقتها بديميتري غير متناسبة، ومدمّرة في النهاية.

فسحة السلم المزينة بالتحف كانت قريبة من الشقة التي أشار إليها الخادم لتدخلها، والتي كانت فخمة ومريحة معاً. غرفة جلوس أنيقة متصلة بغرفة نوم فسيحة، ذات باب زجاجي ينفذ إلى شرفة.

وفيما حمل الخادم كيسها إلى الداخل، سارت هي إلى النوافذ. إحدى تلك النوافذ المستطيلة كانت مفتوحة قليلاً ما جعلها تسمع هدير البحر الخافت. ورأت في الأسفل مياه بركة السباحة تلمع تحت أشعة شمس العصر. وخلف الحدائق، كانت كثبان الرمال تقود إلى شاطئ أبيض الرمال تعانقه مياه بحر إيجه الفيروزية التي تتألق بشكل يخطف البصر. سألها الخادم إذا ما أعجبتها الغرفة، فالتفتت إليه باسمة وأجابته بلغته: «كثيراً جداً. شكراً».

- بكل سرور.

وابتسم لها بحرارة ثم تمنى لها إقامة طيبة وغادر الغرفة. تبعته إلى الباب الخارجي؛ وعندما أغلقته خلفه، استندت إليه. شعرت بتعب مفاجئ لكنها أدركت أنه تعب نفسي بقدر ما هو جسدي. وعادت تمرّر يدها على بطنها متفحصة. يا إلهي! لم تكن متلهفة لمواجهة والدة ديميتري، لكنها لم تحلم أن يقتصر اللقاء على خطيبته فقط.

كانت تدرك أن عليها أن تخرج أغراضها القليلة من الكيس، لكنها لم تشعر برغبة في ذلك حالياً. تركت الباب وخلعت حذاءها ثم سارت إلى غرفة النوم حيث ألقت بنفسها على السرير البالغ الاتساع والمريح للغاية، وأغمضت عينيها.

٦ . النجمة الساطعة

استيقظت على صوت طرق على الباب.

فتحت عينيها، وفي البداية لم تدرك أين هي. وذكّرها منظر موجة عالية رأتها من النافذة المفتوحة بمكانها.

وفجأة جلست، ثم أمسكت بطرف الفراش عندما دارت الغرفة بها. تملكها الغثيان لكنه لم يدم طويلاً لحسن الحظ. لقد نهضت بسرعة بالغة وهذا كل ما في الأمر... يبدو أنها كانت مستغرقة في نوم عميق.

وكلّمها شخص من الخارج باليونانية، فنزلت من السرير كارهة وسارت إلى الباب، راجية ألّا تكون ماريا. لم تشأ أن تواجه حماتها بسروال مجعد وقميص مبتل بالعرق. لم تكن مستعدة لاستقبال أحد فتملكها الارتياح عندما فتحت الباب لتجد خادمة تنتظر في الخارج. كانت تحمل صينية عليها عصير فاكهة بارد وكأس. عندئذ، أدركت جين أنها تشعر بظمأ شديد. أخذت الصينية من الخادمة متوقعة منها أن تذهب، لكن هذه قالت: «السيدة سوفاكيس تسألك إن كان بإمكانك إن تنضمي إلى الأسرة لتناول الشراب قبل العشاء. هل الساعة السابعة والنصف وقت مناسب؟».

كانت جين قد وضعت الصينية على منضدة قريبة وسكبت لنفسها كأساً من الشراب البارد. وبعد أن أخذت جرعة منه نظرت إلى ساعتها. كانت الساعة تقارب السابعة فعادت تحملق فيها غير

www.rewity.com REWITY FAHEEN

مصدقة. لقد نامت أكثر من ساعتين. لا بد أنهم سيعتبرونها قليلة التهذيب إذ لم تعبأ حتى بتقديم احترامها لوالد دميتري.

قالت: «همم... نعم هذا حسن».

وأدركت أن الفتاة لم تفهم ردها فعادت تقول ذلك باليونانية.

لم تضيع جين الوقت في شرب العصير بل حملت الكأس معها إلى الحمام لأنها لا تزال ظمأى. خلعت ملابسها ووقفت تحت المياه الباردة المتدفقة.

وبعد نصف ساعة، تأملت مظهرها في المرآة المستطيلة. من حسن الحظ أن ثوبها الزمردي لم يتضرر من وضعه في الكيس، وأنها أحضرت معها الحذاء العالي الكعبين الذي اشترته أثناء رحلة إلى تايلاند!.

وضعت بعض الكحل ولمسة بنية مائلة إلى الصفرة على شفتيها. على أيّ حال، لن يهتم أحد بالنظر إلى مظهرها ما عدا والد دميتري.

كان شعرها لا يزال رطباً، لكن عندما سرّحته وربطته إلى الخلف بدا مناسباً. كما أن الرطوبة جعلته يبدو داكن اللون.

حسناً، إنها جاهزة. ولم تشأ أن تحمل حقيبة يد فخرجت من غرفتها، وتنفست بعمق قبل أن تتجه إلى السلم. كان الجو مظلماً تقريباً فيما الطابق السفلي مضاء بعشرات المصابيح الموضوعة في الفجوات، لتظلل التماثيل الناعمة الرقيقة بلون ذهبي. حتى النافورة غرقت في حوض من النور الساطع، ما جعل المكان يسبح في نور سحري.

أخذت تتأمل ما حوله، معجبة بكل ما تراه بعينها الخبيرة الذواقة لكن من دون أي شعور بالحسد.

رأت خادمة تقف عند أول السلم، تنتظرها لمرافقتها إلى سيدتها. راحت تختلس النظر إلى مظهر جين، ما جعلها تتساءل لأول مرة عما

إذا كان ممكناً لأي شخص أن يشك في سرّها. لكن الفتاة فضولية وحسب، ومن يمكنه أن يلومها؟

غادرتا الردهة وسارتا في ممر يقود إلى مؤخرة الفيلا. كان الممر مفتوحاً من جانب واحد ما جعلها تسمع مرة أخرى همهمة البحر الرقيقة.

وتساءلت عما إذا كان ليو سوفاكيس يستقبل ضيوفه خارجاً. لكن وقبل أن تصلا إلى الشرفة، اتجهت الخادمة إلى حيث قامت خيمة زجاجية ضخمة. كان مستنبت البرتقال هذا كما تتذكره جين دغلاً حقيقياً لإنبات الأشجار والنباتات الاستوائية، مع أنوار خفيفة تتسلل بين الخضرة.

أعلنت الخادمة وصولها فتقدم ليوسوفاكيس بتثاقل وهو يتكىء على عصا، لكن ابتسامة ترحيب حقيقية ارتسمت على وجهه. لاحظت جين خطوط الإجهاد على ملامحه التي مازالت تحمل شبهاً بملامح ابنه: «جين».

تكلم بحرارة وهو يمسك بيديها الاثنتين في يده الطليقة ويميل عليها ليطبع قبلة على خديها: «ما أجمل أن أراك. ولكن..».

ونظر إليها بإمعان مضيفاً: «تبدين متألقة. قالت إريادن إنك كنت متعبة للغاية حين وصولك».

- كنت فعلاً متعبة.

ردت تحيته وهي تكبت استياءها لأن إريادن كانت تتحدث عنها. وسمحت لوالد دميتري بأن يجرها إلى الأمام لمقابلة الآخرين وهي تقول: «آسفة فقد غلبني النوم وإلا لجئت اليك لأشكرك على دعوتك لي. جميل أن أراك مرة أخرى يا ليو. لن أسألك عن حالك الآن لأنني واثقة من أنك متعب من الجواب عن هذا السؤال».

- كم أنت على صواب، يا عزيزتي!

وربّت على يدها مرة أخرى ثم تركها: «ولا حاجة بك إلى الاعتذار. من الواضح أن النوم أفادك. والآن أظنك تعرفين الكل هنا أليس كذلك؟ ماريا طبعاً».

وانتظر حتى تبادلت جين قبلة باردة مع حماتها ثم تابع: «إريادن التي قابلتها قبل الآن، ثم ستيفن، وأنا واثق من أنك تتذكرينه، ويانيس أم أنّ عليّ أن أقول الأب جوزيف؟».

وتوترت شفتاه بشكل غير متوقع قبل أن يضيف: «جاء خصيصاً ليراك».

حيتهم جين جميعاً، ممتنة لأنها تعرفهم جميعاً باستثناء إريادن. منذ خمس سنوات مضت، كانت تعتبرهم أسرتها، حتى الأم رغم أن هذه لم تحبها قط.

بقيت دقائق عدة تخبرهم بما كانت تفعله مؤخراً. يبدو أن ديميتري أخبرهم عن نجاح المعرض وعن دورها في في هذا النجاح.

حاولت ألّا تشعر بالمودة والحماسة لتأثره بالمسؤوليات التي سلمتها لها أولغا وتساءلت عما إذا كان يحاول أن يريح ضميره. لكنه لم يكن يعلم أن أباه سيدعوها إلى هنا عندما عاد إلى الجزيرة!

أثناء تناول الطعام في غرفة الطعام المجاورة، وجدت جين نفسها تتحدث إلى كل منهم بدوره. كانت المائدة فسيحة وقد أضيئت بالشموع ما جعل قراءة الملامح صعبة.

بقيت والدة ديميتري باردة كالثلج. كما بدا استياء إريادن من وجودها جلياً، فقد سرقت منها الأضواء. لكن ليو وولديه بذلوا جهدهم في تسليتها والتخفيف من ارتباكها. لطالما كان ستيفن عاطفياً ذا مزاج مرح، محب للنكتة.

أما التغيير الأكبر فكان مع يانيس الكاهن. عندما تركت جين الجزيرة، كان قد ابتدأ لتوّه دراسته ليصبح كاهناً. وها هو ذا الآن

يبدو غريباً في لحيته وشاربيه الكثين، وذا هيبة، رغم لطفه الذي عرفته عنه دوماً.

أكلت جين قليلاً وشربت أقل لكنها أبقت بجانبها كأساً مليئة بالماء البارد.

كانت والدة ديميتري قد اقترحت لتوّها أن ينتقلوا جميعاً إلى الصالون الرئيسي لاحتساء القهوة عندما سمعوا صوت هدير طائرة فوق رؤوسهم. كان صوت طائرة هيلوكوبتر تطير على علو منخفض وكأنها ستهبط إلى الأرض.

جفّ فمها على الفور، وتعرقت راحتاها لما شعرت به من ضيق فوضعت الكأس من يدها خوفاً من أن ينزلق إلى الأرض. كل أفراد الأسرة هنا، ما عدا ديميتري. لذا، لم يكن لهذا الصوت سوى تفسير واحد. وكأنما شاركتها إريادن أفكارها إذ اتسعت عيناها بمزيج من الدهشة والحدس، وسألت ليو سوفاكيس: «هل هذا ديميتري؟ لكنني ظننت أنه لن يعود إلى البيت قبل نهاية الأسبوع!».

فقالت ماريا سوفاكيس بحرارة: «إنه لا يصبر على فراقك. لماذا لا تخرجين لاستقباله؟ أنا واثقة من أن ليو سيعذرك».

وقبل أن تقف إريادن، تدخل الوالد قائلاً: «قد يكون هذا فاسيليس يا ماريا. ثيو فاسيليس مساعد ديميتري».

وأضاف موجهاً الحديث إلى جين: «كنت قد طلبت منه أن يرسل لي بعض الأرقام أثناء النهار، ولعله قرر أن يحضرها بنفسه».

- لا أظن هذا.

وعندما همّت ماريا بأن تؤكد لزوجها أن مساعد ديميتري لن يستخدم طائرات الشركة، غصت جين بريقها. يا إلهي! لا يمكن أن يكون ديميتري. لقد وعد.. ولكن بماذا وعد؟ وعد بأن يتجنب رؤيتها لكنه لم يقل إنه سيمكث بعيداً عن الجزيرة فهذا بيته وإريادن موجودة

هنا.

قال ليو وهو يتناول عصاه، ويترك مكانه عند رأس المائدة: «يبدو أنها هبطت. سأذهب وأنتظره على الشرفة».

شرعت إريادن تقول: «بإمكاني أنا أن أذهب...».

لكن والد ديميتري أسكتها بإشارة من يده: «اذهبي أنت إلى الصالون مع الآخرين يا عزيزتي، واستمتعي بقهوتك. إذا كان هذا ديمتيري، فأود أن أمضي بضع دقائق معه على انفراد للحديث عن شؤون الشركة... أنت تدركين ذلك».

نقلت جين بصرها بين إريادن وحماتها، فلم تدرك أيهما أكثر انزعاجاً من كلامه هذا.

هتفت ماريا بحدة: «يُفترض بك أن ترتاح».

لكن ليو رفع إصبعه إلى شفتيه وهو يقول: «سأفعل هذا، ولكن بعد أن أتكلم مع ابني».

فقالت ماريا وهي تلحق به: «ولمَ لا تتحدث إلى ديميتري في مكتبك؟ لمجرد أنها هنا، لا يعني أن ديميتري لا يستطيع أن يدخل إلى منزله».

قال ليو باستياء وقد بدت عيناه مشابهتين لعيني ابنه ديميتري: «جين، اسمها جين. انتبهي إلى القهوة ولن أتأخر..».

غادر الغرفة من دون أن يضيف كلمة أخرى. وساد الصمت في الغرفة، فإذا بجين تغتنم الفرصة لتهب واقفة: «أرجو المعذرة يا ماريان لكني أحب أن أذهب إلى غرفتي الآن. كان يوماً مرهقاً، وعليّ أن أخرج أمتعتي من الحقيبة».

صحيح أن أمتعتها هي ثوبان وبعض الملابس الداخلية وبعض السراويل القصيرة ولن يتطلب ترتيبها سوى بضع دقائق، إلّا أنّ حماتها لا تعلم ذلك.

- حسناً، إذا كنت واثقة..

كانت جين واثقة من أن حماتها وإريادن تكادان لا تصدّقا حسن حظهما هذا. وقالت لشقيقيّ ديميتري بابتسامة متكلّفة: «طبعاً واثقة! سرّني أن اراكما مرة أخرى يا ستيفن ويانيس. إذا لم أركما مرة أخرى، فشكراً على ترحيبكم بي».

كان ليو الأب قد وصل لتوّه إلى الباب الخارجي عندما عادت إلى الردهة حيث خلعت حذاءها كيلا تثير انتباهه. اجتازت الردهة بسرعة، ثم سارعت إلى صعود السلم إلى الطابق العلوي. كان تنفسها غير منتظم من توتر الأعصاب ومن الجهد الذي بذلته. وعندما وصلت إلى فسحة السلم، وقفت قليلاً لتنظر إلى الأسفل. لكن عندما سمعت صوت الرجلين تملكها الذعر وأسرعت إلى غرفتها إذ لم تشأ أن يظن ديميتري أنها متلهفة لرؤيته مرة أخرى. وإذا قررت أن تخبره عن الطفل فهي لا تريده أن يظن أنها تتوقع منه أن يغير رأيه بالنسبة إلى الطلاق. ما من شيء تغير، فهو مازال نغلاً وكذاباً وبعد تصرفه ذاك في لندن لم تعد تدين له بشيء. سارت إلى النافذة، فرأت الأضواء التي تتألق تحت الماء في البحيرة. لقد اعتادت أن تسبح فيها مع ديميتري أثناء الليل عندما ينام الجميع.

لم تبارحها الذكريات، فتركت النافذة وسارت إلى غرفة النوم. وجدت أن الخدم أغلقوا النافذة وأناروا المصابيح على جانبي السرير الواسع. كما أنهم أخرجوا أمتعتها من الكيس وعلقوا ثوبها الثاني في الخزانة وطووا كل ملابسها الأخرى ووضعوها في الأدراج. لا بد أن ماريا تعرف هذا لكنها لم تحاول أن تقنعها بالبقاء معهم. ولماذا تقنعها؟ فماريا لا تريدها هنا. وإريادن هي المفضلة بينما جين ليست سوى طفيلية مزعجة أصر زوجها على إعادتها إلى حياتهم.

خلعت جين ثوبها فشعرت بنهديها أثقل من قبل. سارت إلى

www.rewity.com KAHEEN

الحمام وأخذت تتأمل صورتها في المرآة. نعم، ثمة تغيرات في جسمها ويمكنها أن ترى ذلك بوضوح.

وقفت بشكل جانبي، ثم وضعت يديها على بطنها.

ثمة انتفاخ بسيط سبق ولاحظته أم انها تتخيله، فهي لم تكد تتم الأسبوع السادس. متى يصبح الحمل ظاهراً؟ كان عليها أن تسأل أختها.

أو ربما لا! لن تمتنع لوسي عن اخبار أمهما ما سيجرح كرامة الأم ويفتح عليها أبواب جهنم. ربما من الأفضل أن تحتفظ بهذا الخبر لنفسها حالياً على الأقل، حتى تقرر ما عليها أن تفعل.

- هل تعجبين بنفسك، يا جين؟

بدا هذا الصوت مألوفاً إلى حد مؤلم. لكن ما لم يكن مألوفاً تماماً هو المشاعر المتدفقة من صوته. منذ متى وهو يقف على عتبة الحمام؟ هل رآها تتفحص نهديها؟

لا بد أنه رآها. قررت هذا ودقات قلبها تتسارع.

هذا هو السبب الذي جعله ينظر إليها وعيناه تنضحان بالمشاعر المحمومة.

٧ . جعلتني مجنوناً

أشاحت بوجهها عنه... وساد الصمت لحظة طويلة. كانت تعلم أن عليها أن تستر نفسها لكن دافعاً ما ... ولعلها رغبة في تعذيبه منعتها من ذلك.

تساءلت عما يتوقع منها أن تقول، فلا بد أنه يعلم أن حضوره بهذا الشكل يخرق كل قواعد التهذيب، لا سيما وأنهما يتحضران للطلاق، وأن خطيبته المستقبلية تنتظره في الأسفل. ستكون حمقاء إن لم تطلب منه أن يغادر جناحها على الفور.

لكن كل ما قالته هو: «كان هذا في الماضي يا ديميتري!».

وأدركت أنه فهم بالضبط ما تعنيه.

نظرت من فوق كتفها، فرأت وجهه الصلب الملامح يظلم إحباطاً. ومضت فترة توتر ثم قال بحدة: «البسي ثيابك. أريد أن أتحدث إليك. سأنتظرك في الغرفة المجاورة».

- غرفة النوم؟

- لا، بل غرفة الجلوس. أسرعي!

نظرت جين إلى نفسها في المرآة وقالت بنعومة: «لعلي لا أريد أن أرتدي ملابسي. لقد صعدت من الطابق السفلي كي أنام. أنا متعبة، وأرى أن عليك أن تذهب الآن. سأتحدث إليك في الصباح».

فأجاب من خلال أسنانه المطبقة: «لن أكون هنا في الصباح. عليّ أن أحضر اجتماعاً في أثينا سيستمر يومين. وأرجو أن أعود في نهاية

الأسبوع».

- وما علاقة هذا بي؟

لم تعرف كيف قالت هذا، لكنها قالته بنبرة ساخرة.

- ارتدي شيئاً!

وأضاف باختصار وهو يرفع ثوب حمام معلقاً على الباب ويلقيه إليها: «هذا يكفي».

لم تحاول جين أن تلتقطه فوقع على الأرض. شتم دميتري بلغته ثم تقدم منها، وعيناه تقابلان عينيها في المرآة، ثم التقط الثوب ووضعه عنوة على كتفيها وهو يقول: «البسيه، وإلا لن أكون مسؤولاً عن النتيجة».

- آه لقد أخفتني.

كانت قد بدأت تستمتع بهذا الموقف، رغم أنها تدرك أنها تلعب بالنار. لم يكن دميتري بالرجل الذي يتقبل الاستفزاز بسهولة. وجعلتها ملامحه تحبس أنفاسها حين قال بلهجة تهديد: «جين».

وتقابلت أعينهما في المرآة، فأحست بأنه أدرك تماماً ما تفكر فيه. عندئذ، ابتعدت عنه ثم انحنت تلتقط ثوب الحمام عن الأرض لتلبسه بسرعة وتشدّه حول جسمها المرتجف قائلة: «لا بأس، فلنذهب إلى غرفة الجلوس. لا أدري ما هوالموضوع الذي سنتحدث فيه، لكنك سوف تخبرني».

تنحى جانباً ليسمح لها بالخروج من الحمام فوجدت نفسها مرغمة على الاحتكاك بجسمه الصلب المنيع. كان يرتدي بذلة رمادية داكنة، وقميصاً بلون اللؤلؤ وقد أرخى ربطة عنقه. بدا مختلفاً بشكل أثار أحاسيسها، لكنها تعلم أنه يبدو بهذه الجاذبية حتى لو ارتدى سروال جينز وقميصاً مقفلاً.

كانت غرفة الجلوس مظلمة فأضاءت جين مزيداً من المصابيح على

الفور. أرادت أن تتخلّص من هذا الإحساس بالضعف. لماذا جاء دميتري إلى غرفتها؟ ألا يمكن إرجاء ما يريد أن يقوله إلى الصباح؟ وتذكرت أنه قال إنه سيغادر إلى أثينا في الصباح، ما يعني أنها ستنجو من مهانة أن يدخل عليها الحمام فيجدها تتقيأ.

ومع ذلك، بقي يشغل بالها بطوله وسمرته وجاذبيته الخطيرة وغموضه وبراعته في التلاعب بالكلمات. وفجأة بدت الغرفة أصغر حجماً، وحميمة. وخطر لها أنه علم بأمر الطفل فأرادت أن تجلس، لكنه لم يفعل مثلها. عليها اللعنة إذا كانت ستدعوه للجلوس. وهكذا رفعت رأسها ونظرت إليه ببرودة، بينما راحت معدتها تهددها بأن تحرجها مرة أخرى.

بدا متعباً، وقد أدرك أن هذا الوقت ليس مناسباً للحديث مع من ستصبح قريباً زوجته السابقة. حقيقة أنها غادرت غرفة الجلوس حالما سمعت صوت طائرته، أكدت أنها لا تريد أن تراه. لماذا لم يطع أمه فينتظر حتى اليوم التالي ويتصل بها من أثينا ليطمئن إلى أنها تلقت من المحامي أوراق الطلاق؟ في الواقع، أراد أن يعرف ما عنته أولغا إيفانوفيتش حين اتصلت.

قال: «تلقيت اتصالاً هاتفياً».

أدرك من توتر ملامحها المفاجئ انها شعرت بالتوجس من الآتي.

قالت بصوت خافت: «اتصال هاتفي؟».

ثم تمالكت نفسها وأردفت: «ما علاقة هذا بي؟».

رد بفتور: «الاتصال كان من أولغا إيفانوفيتش».

رأى نظرة ذعر مفاجىء في عينيها. ما الذي تخافه؟

- أولغا؟ ولكن كيف..؟

- هيه... كيف استطاعت الوصول إليّ؟

وعندما لم تجب، تابع يقول: «لعلك تتذكرين أني من قبل كنت

أبحث عنك لأخبرك بأن أبي طلب أن يراك ويبدو أن هاتفها سجّل رقم هاتفي. على أيّ حال حرصت على أن تسجله تحسباً لما يأتي به المستقبل».

ازدردت جين ريقها: «ولكن لِمَ اتصلت بك أولغا؟».

هز كتفيه: «لقد باعت ذات مرة تمثالاً صغيراً من البرونز لأبي، أليس كذلك؟».

تذكرت جين أنها من باعه ذلك التمثال. وكانت هذا بداية معرفتها بليونيدس سوفاكيس الأب ومن بعده ابنه..

- هل هذا ما تريده؟ أن تخبر أباك عن بعض التحف التي عثرت عليها حديثاً؟

توترت شفتا ديميتري: «هل تعتقدين ذلك؟».

ارتجفت جين رغم حرارة الغرفة، ثم هتفت بعد أن قررت التحدث بصراحة: «لا أدري ماذا عليّ أن أظن؟ لِمَ لا تخبرني بما قالته بدلاً من أن تلعب بأعصابي؟».

- هذه ليست لعبة.

وفتح زراً آخر في أعلى قميصه، كاشفاً عن بشرته السمراء المغطاة بشعر خفيف أسود ثم ضاقت عيناه وهو يتابع قائلاً: «مخدومتك قلقة على صحتك يا جين، وليس على صحة أبي. أخبرتني أنك ضعيفة حالياً. قالت إن عليّ ألّا أفعل ما يكدّرك. والآن، ماذا تظنينها تعني بذلك؟ ما الذي أخبرتها به؟».

قالت بحدة وهي تلعن أولغا في سرّها: «أنت... أنت تعلم أنني لم أكن بصحة جيدة عندما اتصلت بي فتملك أولغا القلق عليّ وهذا كل ما في الأمر».

- أنا أوافقك الرأيّ.

سكت لحظة فأدركت أنه يتأمل الاحمرار الذي صبغ وجنتيها

الشاحبتين ثم أضاف: «لكنك أخبرتني أنه مجرد رشح، والرشح لا يستلزم مثل هذا القلق».

- هذا صحيح، لكن أولغا عاطفية للغاية. ولعلها ليست واثقة من أنك لن... لن..

- لن ماذا يا جين؟

وتقدم منها، فثبّتت نفسها كيلا تبتعد: «من أنك لن تخدعني».

لم تشأ أن تعترف بأنه مازال قادراً على أن يؤلمها. وقالت محاولة أن تجعل لهجتها مرحة: «ألن تتساءل إريادن أين أنت؟».

- إريادن تثق بي.

وأضاف بخشونة بعد أن جعله كلامها في موقف الدفاع: «ماذا؟ أتظنينني لم أخبرها إلى أين أنا ذاهب؟ وأنني جئت إلى هنا متسللاً لأرى امرأة أنا متلهف للتخلص منها من دون أن أدع إريادن تدرك نيتي؟».

زمت جين شفتيها وقد أصبحت الآن في موضع الدفاع: «كلا».

- هذا حسن، وإلا فأنت مخطئة للغاية.

لم يعلم ديميتري من أين جاءه هذا الغضب كله. فقد أصبح فجأة عنيفاً للغاية. فجين هنا الآن، في بيت والديه، وهي تبدو أجمل من أي وقت مضى وقد أثار هذا امتعاضه. لم يكن يريدها هنا. لم يشأ أن يتذكر ما كان بينهما ذات مرة. وقال: «أنا وإريادن متفاهمان».

قالت ساخطة: «يا لحسن حظك!».

هذا الشعور بالسخط هو حتماً أفضل من الشعور بالارتباك الذي تملكها سابقاً وتابعت تقول: «إذا كان هذا كل ما جئت لتخبرني به، فماذا تنتظر؟ أريد حقاً أن أنام».

تملّكه الغضب. وعندما تمالك نفسه سألها: «لماذا جئت إلى هنا ياجين؟».

www.rewity.com RAHEEN

اتسعت عيناها. لقد صُدمت ولاحظ هو ذلك.

وهزت رأسها وأجابت: «لماذا جئت إلى هنا؟ أنت تعرف لماذا جئت يا دميتري. لقد طلب والدك مني ذلك».

- كان بإمكانك أن ترفضي.

ذهلت: «أرفض رغبة رجل يموت؟ ماذا تظنني؟».

- لا أدري... ماذا أنت يا جين؟ قديسة أم شريرة؟ لا أستطيع أن أقرر تماماً.

انفرجت شفتاها، ثم قالت مع نبرة ازدراء في صوتها: «حسناً، أنا على الأقل لست أنانية يا دميتري. أنت أناني كلياً».

- وأنت لست كذلك؟

لم يعد يدري لماذا أراد أن يتابع هذا الموضوع، لكنه عاجز عن تركه:

- هل هذا يعني أنك بررت السبب الذي جعلك تهجرينني؟ أم أن عليك أن تذكري نفسك دوماً بالسبب الذي جعلك تقترفين تلك الغلطة الهائلة؟

- لم تكن تلك غلطة.

- لماذا أجد صعوبة في تصديق ذلك؟ أليس من النفاق أن تتحدثي عن المبادئ، فيما سمحت لي منذ أسابيع قليلة بأن أنال منك ما أشاء؟

بدت لها هذه الكلمات قاسية للغاية وهي تخرج من فمه. فشهقت، وقبل أن تستطيع منع نفسها رفعت يدها وصفعته.

لم يحاول أن يتجنب الصفعة. ونظرت غير مصدقة إلى آثار أصابعها على وجنته.

ندمت على فعلتها على الفور فهي لم تفعل شيئاً كهذا قط من قبل. لكن الوقت فات على تغيير رأيها. وما كادت يدها تبدي نوعاً من الخضوع حتى تبددت رباطة جأش دميتري فأطلق صرخة عنيفة بلغته لم

تفهمها، وأمسك بمعصمها بأصابع صلبة وجرها إليه رغماً عنها: «إذا كان هذا ما تريدينه، فمن أكون أنا لأشكو؟».

- دميتري!

صرخت ولكن من دون فائدة إذ قال بخشونة: «اخرسي».

- ولكن ليس بإمكانك...

عاد يكرر أن تخرس وهو يقبض على شعرها ويميل رأسها إلى الخلف. وأدركت هي أنها ضاعت فالغضب والإحباط اللذين يشعر بهما جعلا التصرف معها بلطف مستحيلاً. وعندما أسندها إلى الجدار خلفها سحق جسدها.

وتمتم بصوت أجش: «أنت رائعة الجمال وأنا أريدك».

كانت يداها عالقتين بين جسديهما، وحين سحبتهما رفعت أصابعها بفزع لتتحسس وجنته، لكن دمه لم يسل لحسن الحظ. لكن حين خدشت رأسه بأظافرها أخذ يزمجر متذمراً وقال وهو يترنح: «إياك أن تدّعي أنك لا تريدينني أيضاً».

ورغم أن يديها أمسكتا بشعره تريد أن تبعد رأسه عن رأسها، إلا أن ارتجاف صوته مزّق تصميمها إرباً إرباً.

قالت بعنف: «أنا... أنا لا أريد...».

لكن شفتيها نطقتا بقصة مختلفة وازدادت العواطف المشبوبة بينهما.

- لهذا السبب جئت إلى هنا، أليس كذلك؟

وصمت لحظة ثم تابع قائلاً: «أنت مصممة على أن تدمريني».

هتفت: «كلا».

لكن دميتري لم يصغ إليها فقد ضمها إليه بشدة، وسألها بصوت يفيض بالمشاعر: «هل تشعرين بما أشعر به؟ نعم، طبعاً. ولكن هل لديك فكرة عن شعوري وأنا ملتصق بك إلى هذا الحد؟».

- دميتري...

تابع كلامه وكأنها لم تقل شيئاً: «لقد جعلتني مجنوناً تماماً، ومنفعلاً للغاية».

وصمت ثم أردف: «لكنني مازلت أريدك حتى تمنحيني بعض الراحة من هذا العذاب الذي سببته لي.»

- دميتري...

- لا تحاولي أن تقولي إنني لا أدري ما أقول. بل أعرف، أعرف يا جين. صدقيني.

- دميتري... أرجوك...

ارتعش لصوتها الأجش، وشرع يفتح قميصه بيده الطليقة بعد أن انتزع ربطة عنقه وألقى بها إلى آخر الغرفة. وكانت هي تشجعه بعد أن تعلّقت بعنقه عندما سمعا دقاً متردداً على الباب. بقيا لحظة من دون حراك، وكأنهما تجمدا لتوهما وراح دميتري يشتم بلغته بصوت خافت.

- جين!

جف فمها وقد تملكها الخوف للحظة من أن يكون دميتري هو من تكلم، فينبّه الواقف خلف الباب إلى وجوده في غرفتها. لكنها أدركت على الفور أن دميتري من الغضب بحيث لا يمكن أن يقول كلمة مهذبة. إنه صوت آخر، صوت امتزج بالارتباك. ودفعت رأس دميتري إلى الخلف ليتمكن من رؤية شفتيها وهما تقولان بصوت خافت: «إنه أبوك».

وكان الذعر يبدو على وجهها فتمتم باستسلام: «أعلم هذا».

- ما الذي ستفعله؟

انتصب واقفاً وأخذ يسرّح شعره بأصابعه، فيما سترت نفسها وهي تضيف: «لا يمكن أن يجدك هنا، خصوصاً بهذه الحالة. عليك أن تذهب».

فقال ساخراً: «أذهب إلى أين؟ أتتوقعين مني أن أختبئ في

الحمام؟».

- هذه فكرة حسنة بكل تأكيد.

نظر إليها باستخفاف وهمس: «لا سبيل إلى ذلك!».

- جين!

وساد صمت طويل، عاد بعده الأب إلى الكلام: «هل معك أحد، يا عزيزتي؟ يمكنني أن أعود في ما بعد إذا شئت».

- لا. أنا...

حاولت أن تجد جواباً، وهي تنظر إلى دميتري ضارعة متوسلة كي يختفي عن النظر.

لكن كل ما فعله هو أن أقفل قميصه ودسّه تحت سرواله ليتوجه نحو الباب ويفتحه.

٨ - ضيفة غير مرغوب فيها

تملك جين الدهشة بعد أن أدركت أنها نامت بشكل جيد.

لم تكن تتوقع هذا بعد النهار والمساء اللذين مرّت بهما. توقعت أن تستلقي لساعات تفكر في كل ما حدث، وإذا بها تفقد الوعي حالما لمس رأسها الوسادة.

هل ضميرها مرتاح؟ لم تكن تظن ذلك. فما فعلته وما سمحت لدميتري أن يفعله معها... لا يُغتفر. وكانت تستحق أن تمضي الليل تعنف نفسها على حماقتها.

لا شك أن حملها هو سبب استسلامها للنوم بسهولة. وانقلبت على ظهرها فرأت الشمس تنساب من خلال الستائر. أثناء وجودها في لندن، كانت الأحلام المزعجة تقض مضجعها، لكنها كانت من الإرهاق الليلة الماضية بحيث لم تستطع أن تبقي عينيها مفتوحتين. لم تشعر بمثل هذا الارتياح منذ مدة طويلة، منذ عاد دميتري إلى حياتها في الواقع. على أيّ حال، حان الوقت لمواجهة النهار، ولم يكن الغثيان المعتاد هو ما يزعج معدتها الآن. يا إلهي! ماذا خطر لوالد دميتري عندما رأى ابنه يفتح باب شقتها ويندفع خارجاً من دون إيضاح؟ لقد اكتفى بكلمة مقتضبة هي «بابا» وهو يمرّ به متجهاً نحو السلّم وكأنه لا يريد أن يجيب عن أي سؤال عن وجوده هنا.

ماذا خطر للأب من أفكار وهو يرى ابنه مع المرأة التي يفترض به أن يطلقها، لا بل يقوم فعلياً بالاجراءات اللازمة لذلك. ألم تستلم

أوراق الطلاق من المحامي قبل أن تغادر لندن قادمة إلى كاليثي؟ وعدم توقيعها لا يعني أنها غير موجودة.

وبعد رحيل دميتري، بقي والده يحدّق في أثره وكأنه لا يفهم الوضع. وعندما نظر إلى جين بدا وكأنه استوعب الموقف.

كان وجه جين مصبوغاً بالاحمرار وليو الأب ليس أحمق، ولا بد أنه تكهن بالضبط ما قاطعه. ولهذا رفض الدخول حين دعته إلى ذلك وعاد ينظر إلى فسحة السلم وكأنه يتوقع عودة ابنه. قال لها: «إذا كان لديك كل ما تحتاجينه فسأتمنى لك ليلة سعيدة. نامي جيداً، يا عزيزتي».

بدا وكأنه أدرك أن الوقت ليس مناسباً لتبادل الحديث. لكن عندما تمنت له جين ليلة سعيدة، تمنت لو تتمتع بالجرأة اللازمة لتقول له إن الأمر ليس كما يظن! رغم أن الأمر كما ظنه فعلاً! كيف يمكنها أن تخدعه؟

أثناء استحمامها، أحضرت لها خادمة فطورها، حيث وجدت صينية تحمل عصير فاكهة وكعك محلّى وقهوة على المنضدة بجانب سريرها. وأملت ألا تكون الخادمة قد سمعت شيئاً ما كان لها أن تسمعه. وماذا لو سمعت؟ فالغثيان يتملك الناس لأسباب كثيرة.

كانت رائحة القهوة رائعة والكعك المحلى جيداً، حتى أنه جعلها تشعر بتحسن.

أكلت كعكتين وشربت عصير الفاكهة. كانت حيويتها تتزايد مع مرور الوقت فابتلعت نصف فنجان من القهوة، واتجهت إلى الخزانة حيث أخرجت منها بلوزة وردية من دون كمين وسروالاً قصيراً.

غادرت غرفتها بشيء من التوجس، وكانت الساعة قد تجاوزت التاسعة. لعلها ستجد أحداً في الأسفل وهذا لا يعني أنها تفكر في دميتري. كان ستيفن هو أول شخص قابلته، بعد أن جذبها لحن

www.rewity.com RAHEEN

يعزف على البيانو في غرفة الموسيقى حيث النوافذ المستطيلة تطل على الشرفة الخلفية. عبرت القاعة ثم توقفت عند المدخل. ورغم أنه ما كان بإمكانه أن يسمع وقع خطاها، إلا أنه التفت إليها ثم وقف وهتف باسمها: «جين».

وتقدم نحوها مبتسماً بحرارة قبل أن يردف: «هل نمت جيداً؟ ألم تكوني متعبة للغاية بعد... بعد رحلتك؟».

كان لترددده معنى ما... لكنها فضّلت ألّا تعلّق على ذلك فقالت: «نمت جيداً جداً. لا أظنك تعمل اليوم؟».

عندما غادرت الجزيرة، كان ستيفن يعمل كمساعد لأبيه. لكنها تعلم أنّ الأب لا يمكن أن يوافق على الملابس التي يرتديها ابنه الآن لو كان يعمل معه. أما هو فقال باقتضاب: «ليس اليوم. هل تناولت فطورك؟ يمكنني أن أطلب من إنجلينا..».

فأجابت وهي تنظر في أنحاء الصالون المضاء بأشعة الشمس: «لقد أكلت. شكراً. هذه غرفة جميلة وهادئة للغاية. لقد نسيت مدى هدوء «كاليثي»».

قال بجفاء: «تعنين مدى كآبتها».

وتساءلت إن كانت تتصور هذه الكآبة في صوته. بدا الليلة الماضية سعيداً لكن جوّاً واضحاً من الكآبة أحاط به الآن. وتمتمت تقول: «أظن أن ذلك يعتمد على ما تتطلّع إليه».

فقال رافعاً حاجبيه بشيء من الخبث: «وما الذي تتطلعين إليه يا جين؟ هل نجاحك في عملك هو حقاً كل ما تريدينه في الحياة؟».

فقالت بخشونة: «لا أدري ماذا أريد.. أين الآخرون؟ يتناولون الفطور؟».

فأجاب من دون اهتمام: «نادراً ما ينزل أبي من غرفته قبل الغداء وأمي تمضي الوقت معه عادة. لكنها قد تغير هذا النظام بسبب وجود

إريادن هنا. ويانيس عاد إلى كليته. أما... أخي الآخر فقد رحل منذ أكثر من ساعة!».

- ديميتري؟

وتملكتها الحيرة فهي لم تسمع حتى صوت الطائرة، لكنها شعرت بالارتياح أيضاً فالأمور ستصبح أسهل الآن بعد رحيله.

- نعم، ديميتري. من المتوقع أن يعود غداً مساء

- غداً مساء؟

- نعم. غداً مساء.

ونظر إليها بشيء من التسلية: «وهكذا، كيف ستسلين نفسك حتى ذلك الحين؟».

احمر وجهها: «لا أدري ما الذي تعنيه فأنا لم أحضر إلى هنا لأرى ديميتري».

- لا؟

لم يبد عليه الاقتناع فتساءلت عما إذا كان هذا ما يظنه أمه وأبوه أيضاً، عدا عن ديميتري نفسه. لكنها لم تشأ أن تفكر في ذلك.

قالت شابكة يديها ببعضهما البعض: «طلب أبوك أن يراني، ولم أستطع... لم أشأ أن أرفض».

هز ستيفن كتفيه مشككاً. كان أقصر من ديميتري، وثمة شيء أنثوي في ابتسامته الساخرة: «ما دمت تقولين ذلك، من أكون أنا لكي أعارضك؟ لعلي أسمح لآراء أمي بأن تؤثر في حكمي على الأمور».

هزت جين رأسها وهمت بالرحيل لتبحث عن صحبة أكثر مودة، لكنه بسط ذراعيه بعجز: «أنا آسف. أعلم أنني سافل. عليك ألّا تهتمي بي يا جين. تعالي آخذك في نزهة. يمكننا أن ننزل إلى الشاطئ عبر الحديقة».

فترددت: «آه، لست أدري ما إذا..».

- أرجوك! أو بإمكاننا أن نجلس بجانب البحيرة. أعرف كم تحبين السباحة.

كان بإمكان ستيفن أن يصبح ظريفاً حين يشاء، لكن ارتداء بذلة سباحة عمل غير حكيم في ظرفها الحالي. ولهذا قررت أن تقبل عرضه الأول: «نزهة على الأقدام فكرة حسنة».

حسناً، هذا أفضل من التسكع هنا في انتظار حضور حماتها أو إريادن. غادرا المنزل من باب الغرفة الصباحية. بدا هذا الجزء من الفيلا تماماً كما تتذكره جين، بجدرانه الزرقاء، والأواني الخزفية الصفراء والبيضاء على المناضد المغطاة بالزجاج، والأرضية الرخامية الباردة والستائر الرومانية نصف المسدلة. كانت الغرفة مشرقة لكن ذكرى الجدل الذي دار بينها وبين ديميتري صباح ذلك اليوم الذي غادرت فيه الجزيرة نهائياً أفسدت عليها تمتعها بجمال الغرفة.

سلكا ممراً بين مروج خضراء تسقى بنظام ريّ فعّال وتحيط بها نباتات الصبار. كان الطقس شديد الحرارة، ولم يخطر في بال جين أن تشتري مظلة حين حزمت أمتعتها فأملت الآن ألا تحترق بشرتها. ما من شيء في هذه الرحلة سار كما توقعت فكان عليها الآن أن تراجع جدياً حساباتها تلك. وعندما وصلا إلى الشاطئ، لفحهما نسيم.

خلعت جين حذاءها وحملته بيده وسارت على الرمال التي لم تكن حارة جداً بعد بحيث تحرق قدميها.

سارت نحو المياه فهتف ستيفن وهو يهرع خلفها: «مهلاً... لدينا الصباح كله».

وفكرت بجفاء في أن الصباح كله أمامه هو فقط، لكنها لم تقل ما خطر لها. ومع هذا تساءلت عما يجعل ستيفن يمضي أيامه متكاسلاً هنا على الجزيرة بينما بدا واضحاً أن أباه لا يعمل كثيراً الآن.

راحت الأمواج تلامس قدميها العاريتين فيما برودتها تتحول إلى

دفء لذيذ. وتذكرت بأسف أن هذا هو أفضل وقت للسباحة قبل أن تشتد حرارة الشمس وتحترق الأجساد.

اقترب منها ستيفن وهو يقول: «عليك أن تسترخي قليلاً، يا جين. أنت لست في إنكلترا الآن».

- أتظنني لا أعلم هذا؟

كانت عيناها على قدميها تتأملان الرمال وهي تنزلق من بين أصابعها. وهزت كتفيها ثم نظرت إليه سائلة: «ما الذي تفعله هنا، يا ستيفن؟ هل أرسلوك لكي تراقبني؟».

- أتظنين أني كنت لأوافق على ذلك؟

رفعت حاجبيها ساخرة: «هل أعتبر هذا بمثابة نعم؟».

رد ساخطاً: «كلا! ظننت أنه قد يترك أن يصحبك أحد. هذا كل ما في الأمر».

نظرت إليه بإمعان لثوان ثم أشاحت بوجهها قائلة: «لا بأس».

بعدئذ، أخذت تسير وقدماها في المياه الضحلة قبل أن تضيف: «أخبرني إذن عما تفعله. ألم تعد تعمل مع أبيك؟».

توترت شفتا ستيفن وردّ: «أنا واثق من أنك غير مهتمة بمشاكلي يا جين، لكن الفضول يتملكني بالنسبة إلى علاقتك بديميتري. هل تعلمين أنه سيتزوج إريادن حالما يتم الطلاق؟».

- نعم. أخبرني بذلك.

- وهل أخبرك بالسبب؟

تنهدت: «هل لهذا صلة بالموضوع يا ستيفن؟ ديميتري يريد الطلاق، وهذا كل ما في الأمر».

- لا، هذا ليس كل شيء. لم يكن ثمة حاجة لكي يطلب ديميتري الطلاق إلا إذا أراد هو ذلك طبعاً.

فقطبت جبينها: «ماذا تعني؟».

- أعني أنني كنت مستعداً لأن أمنح أبي الحفيد الذي يتلهف إليه، لكنني لست الشخص المناسب. علاقتي بفيليب ليست حسنة بما يكفي، رغم أننا معاً منذ أكثر من ست سنوات.

نظرت جين إليه غير مصدقة: «أتعني... أنك وفيليب مارتن... أنكما...».

- عشيقان؟ نعم. أنت تعرفين فيليب طبعاً أليس كذلك؟ ألم يخبرك دميتري بأننا نعيش معاً؟

- قال إنكما... صديقان.

وشعرت بمدى غبائها، فحتى عندما أخبرها دميتري أن ستيفن لا يهتم بالنساء، لم تفهم ما يعنيه.

- طبعاً. ما كان لك أن تدهشي. دميتري هو وريث أبي لأنه الابن الأكبر. الصبي الذهبي! وابن أي ولد آخر غير مناسب أبداً.

هزت جين رأسها. هل يعلم دميتري هذا؟ هل لديه فكرة عما يشعر به ستيفن؟ طبعاً. لا بد أنّ دميتري وأباه ناقشا هذا الموضوع في وقت ما. ولم تعرف ماذا تقول غير أنها آسفة. فابتسم مرغماً: «هذا غير مهم. هل نواصل السير قليلاً؟».

سارا على الشاطئ قليلاً ثم استدارا ليعودا أدراجهما. وقلك جين الارتياح عندما تحوّل الحديث بينهما إلى أمور غير شخصية، وانشغلت بمحاولة تجنب أي موضوع قابل للجدل. لكن عندما عادا من الشاطئ وتوجها نحو الشرفة الأرضية شعرت بوخز في كتفيها. وبنظرة سريعة أدركت أن ذراعيها قد كساهما الاحمرار ولا بد أن وجهها أصبح كالشمندر أيضاً.

وأغاظها أن ترى حماتها وإريادن جالستين في الشرفة تحت مظلة مخططة إذ تطلب منها الاستمرار في السير نحوهما كثيراً من الشجاعة خصوصاً وأنها ابتدأت تشعر بدوار ويأنها على وشك الإغماء. لم

تستطع تجنّب هذا الشعور لا سيما بعد أن اعتذر ستيفن وتابع طريقه إلى داخل المنزل، تاركاً جين تواجه المرأتين وحدها. قالت ماريا على الفور وقد لاحظت عيناها الذكيتان ما تشعر به كنتها: «آه، جين، لمَ لا تجلسين معنا؟ شرعنا لتوّنا باحتساء القهوة».

كانت جين تعلم بأن ليس لدى حماتها رغبة حقيقية في صحبتها لكنها الطريقة الوحيدة لجعل الموقف المحرج أسوأ. بدا أنها تدرك أن جين تود التوجه إلى غرفتها لتضع بعض المرهم الملطف على وجهها وذراعيها لكنها لم تستطع أن تقاوم فرصة تعذيبها.

وإذ كانت جين متلهفة لئلا تزيد الوضع سوءاً، أرغمت نفسها على الإبتسام قائلة: «شكراً».

وألقت نفسها على كرسي بجانب إريادن:

لكن حتى رائحة القهوة جعلتها تشعر بالغثيان. وعندما طلبت ماريا من الخادمة أن تحضر فنجاناً آخر، بللت جين شفتيها الجافتين وقالت: «أود فقط كوباً من الماء؟».

حدقت ماريا فيها بفروغ صبر: «ماء؟ ما بك؟ هل أنت بخير؟».

فأجابت جين بسرعة، متلهفة لئلا تثير الشكوك: «أشعر بحرارة شديدة وبظمأ، إذا لم يكن لديك مانع».

فقالت إريادن هازئة: «إنها غير معتادة على الجوّ عندنا. فهي تبدو كسرطان بحر مطهو، يا ماريا. لعلها تفضل الذهاب إلى غرفتها».

كرهت جين الحديث عنها وكأنها غير موجودة، لكنها كانت شاكرة للفتاة الأخرى قولها هذا، فلم تتذمّر. وقالت وهي تقف شاعرة بساقيها ترتعشان: «أظن أنّ عليّ أن أفعل ذلك، يا ماريا. هلّا طلبت من الخادمة أن تحضر الماء إلى غرفتي».

توتر فم ماريا: «لا بد أن بإمكانك البقاء لدقائق يا جين. لم تتح لنا فرصة التحدّث معاً بعد. ألا تريدين أن تعرفي حال زوجي هذا

www.rewity.com

الصباح؟».

- طبعاً. أريد أن أعرف حالة ليو الصحية. ظننت فقط...

وعادت جين تجلس على كرسيها بينما قاطعتها ماريا بحدة: «يمكنني أن أتصوّر ظنك. تتمنين لو أننا لا نتحدث في هذا الموضوع. لكن دعينا نكون صريحتين فأنا لم أوافق على دعوة ليو لك إلى هنا لأنك غير مرغوب فيك في بيتي. والآن، وبعد أن رأيته، أرجو أن تقدمي أيّ تبرير ثم ترحلي بكل تهذيب في أسرع وقت ممكن».

أطلقت جين نفساً مرتعشاً ثم هتفت: «لماذا سمحت لديميتري بأن يتصل بي؟ لماذا لم تتظاهري بأنك تحدثت إليّ وأنني رفضت الحضور؟».

- لأن ليو ما كان ليقبل بذلك. كما يهمني أمر ديميتري إلى حد يمنعني من أن أكذب عليه.

هزت جين رأسها لكن الشعور بالدوار عاودها فتمسكت بذراعي الكرسي لكي تسند نفسها.

ولسوء الحظ أنّ حماتها وإريادن لاحظتا ذلك، فشخرت ماريا وقالت بانفعال: «اذهبي إلى غرفتك إذن، إذا كنت عاجزة عن التحكم في نفسك لخمس دقائق. عليك إذن أن تفعلي ما قالته إريادن. ولكن لا تنسي ما قلته لك. وفي المرة القادمة لن أكون متفهمة بنصف هذا المقدار».

٩ - هل ندمت

عاد ديميتري إلى الجزيرة عصر اليوم التالي إذ لم يبق ليستمع إلى النتيجة النهاية للاجتماع متحججاً بمرض أبيه ورغبته في أن يراه.

تفهم الجميع عذره هذا لكنه تساءل ما إذا كانوا سيتفهمونه لو علموا أن الاطمئنان إلى صحة أبيه يمثل حجة فهو يريد أن يطمئن إلى جين، وأن يتأكد من أنها لم تتعرض إلى أي إرهاب في غيابه. لم يدرك سبب هذه اللهفة إلى رؤية زوجته لكن هذا هو الواقع. وهذا لا يعني أنها ستتر برؤيته.

على الرغم من أنه لا يستطيع أن يبعد يده عنها، إلّا أنه واثق إلى حد بعيد من أنها ندمت على ما حصل بقدر ندمه هو.

وعندما هبط الطيار بالهيلوكوبتر على بعد مئة ياردة من الفيلا تنهد بارتياح. ولم ينتظر من مساعده فازيليس أن يفتح الباب وينزل السلّم بل قام بالمهمة بنفسه وترجّل. وعندما انضم إليه الرجل، قال له: «لن أحتاج إليك الليلة يا ثيو يمكنك أن تذهب إلى بيتك، إذا شئت».

كان والدا ثيو يعيشان في جزيرة أخرى من مجموعة الجزر فقال ثيو: «أحب أن أبقى في الكوخ، إذا لم يكن لديك اعتراض».

ووضع على الأرض حقيبتي الأوراق اللتين كان يحملهما ثم أعاد السلم إلى داخل الطائرة، وهو يتابع قائلاً: «أرجو أن أرى لانت، إذا لم يكن لديك مانع».

- ولماذا أمانع؟ إنها امرأة حرة.

- حسناً... الكل يعلم أنكما كنتما ذات مرة.. كنتما مرة...

فقال ديميتري بخشونة: «كنا صديقين يا ثيو... صديقين وليس عشيقين كما سمعت من دون شك».

- لكن زوجتك...

قال ديميتري وقد تبخر مزاجه الحسن: «هي أيضاً لم تصدقني».

وتمالك نفسه ثم عاد يقول: «إنس هذا فقد أصبح من الماضي الآن. لعل لانت ستخبرك يوماً ما، من هو والد مارك الحقيقي. وحتى ذلك الحين، صدقني بهذا الشأن.

أنا أتمنى لك بل لكما حظاً سعيداً».

- شكراً.

حمل ديميتري حقيبته، وعندما وصل الرجلان إلى البيت افترقا، فاتجه ثيو نحو الأكواخ، فيما ركض ديمتري صاعداً الدرجات بخفة ليدخل ردهة الاستقبال.

بدا المكان مهجوراً لكن سرعان ما برزت أمه من ناحية الشرفة الأرضية وهتفت بدهشة لرؤيته: «ديميتري! هل من خطب؟».

- هل من المفترض أن يحدث شيء يا أمي؟ لقد ذهبت إلى مؤتمر كما قلت. ثم عدت... أين أبي؟.

كان هذا أفضل من أن يسأل عن جين. أجابت باستياء واضح: «نعم، عليك أن تسأل. خرج في نزهة بالسيارة مع تلك المرأة... أنذرته بأنه من غير الحكمة أن يرهق نفسه، لكنه لم يستمع إلي».

أدرك ديميتري ما تعنيه أمه بالضبط.

وكان ارتياحه كبيراً بحيث لم يفكر في كلماته قبل أن يقول: «لا أظن أن نزهة بالسيارة مع جين سترهقه كثيراً، يا أمي».

ما الذي قاله؟ ألم يكن يريد أن يخرج جين من حياته؟ أن يشجع أباه على أن يجعل زيارتها إلى هنا سارّة وممتعة هو تصرف غير لائق

برجل محترم.

قالت أمه: «كان عليّ أن أدرك أنك لن توافقني الرأي. على أيّ حال، أنت من أحضرها إلى هنا».

لم يجب ديميتري لكن أمه لم تكن قد أنهت كلامها: «الحمد لله لأن إريادن رافقتهما. ستحرص على ألا تدع أباك يتصرف بشكل غبي».

- بشكل غبي؟

قالت بغيظ: «كأن يدعوها للبقاء إلى وقت غير محدد».

بعدئذ تأبطت ذراعه وكأنها أدركت أن هذه ليست طريقة مناسبة للترحيب بابنها بعد غيابه: «هيا بنا، ثيرميا هنا ونحن نتناول شاياً مثلوجاً على الشرفة وسيسرها أن تراك».

آخر شخص يريد أن يراه الآن هو والدة لانت. أترى لانت معها؟ هل من الممكن أن يكون سيء الحظ إلى هذه الدرجة؟ وهكذا، وعندما أرادت أمه أن تجرّه معها، سمّر قدميه في الأرض قائلاً: «دعيني أرتاح يا أمي. أنا مرهق للغاية. ما أريده الآن هو أن أستحم».

- كلام فارغ. ماذا ستقول ثيرميا لو علمت أنك جئت ولم تأت لتحيتها؟

توتر فكه: «هل هي وحدها؟».

- طبعاً لا، فلانت معها. وأنا أعلم أنها ستُسر بصحبة من هو أصغر سناً.

هذا عظيم! وكبح آهة. من دعا آل أدونيدس؟ لكن ما من حاجة للسؤال.

سيصاب ثيو بخيبة أمل عندما يذهب إلى المدينة ولا يجد لانت في بيتها. وعلى عكس ما قالته أمه، لم يبد على لانت السرور لرؤيته. وقالت بأدب بعد أن حيّا أمها: «ديميتري. قالت العمة ماريا إنك لن

تعود قبل الغد».

ألقى دميتري على أمه نظرة ساخرة، لكنها تشاغلت عنه بسكب الشاي المثلوج في الكأس التي أحضرتها الخادمة وهي تقول له: «هل تريد بعض الشاي المثلوج، يا دميتري؟».

أجاب وهو يرى لانت تتبادل النظر مع أمها خلسة: «لا، شكراً لا أستطيع البقاء. الآن وبعد أن علمت أن أبي بصحة جيدة، أحب أن أذهب إلى البيت».

انتصبت ماريا والكأس في يدها: «لا يمكنك أن تذهب يا دميتري من دون أن ترى أباك».

فقال بإصرار من بين أسنانه: «سأراه في ما بعد. أما الآن، فعلي أن أدرك ثيو قبل أن يغادر المدينة».

- هل ثيو هنا؟

كانت لانت هي التي تكلمت. ورأى دميتري نظرة توقع واضحة في عينيها، فقال: «نعم. سيمضي الليلة في الكوخ. أتريدين أن تريه؟».

- آه، حسناً...

- لا أظن ذلك يا دميتري.

وسألته أمه: «لماذا تريد لانت أن ترى ثيو، يا دميتري؟ كانت ثيرميا تخبرني لتوّها أن لانت تلقت الكثير من الرسائل المسجلة من ذلك الشاب خلال غيابك. لقد أصبح مصدر إزعاج».

رفع دميتري حاجبيه ناظراً إلى لانت: «هل هذا صحيح؟».

- أنه أرسل لي رسائل؟ نعم.

فقال دميتري بصبر: «عنيت هل أصبح مزعجاً؟ يبدو أنه يظنك تحبين صحبته».

نقلّت لانت نظراتها بارتباك بين أمها وماريا: «حسناً...وأنا...

أحب صحبته».

تبادلت المرأتان نظرة نفاد صبر وتملك دميتري هو أيضاً نفاد صبر فقال: «إذن؟ هل تريدين أن تريه أم لا؟».

وعندما بقيت مشيحة بوجهها قال مغتاظاً: «أنت في الثالثة والعشرين، يا لانت. إذا أردت أن تقيمي علاقة معه فلن يستطيع أحد أن يمنعك».

- دميتري!

نظرت إليه أمه بفزع لكن دميتري كان قد عانى ما فيه الكفاية وقال للفتاة: «حسناً؟».

ألقت الفتاة بنظرة قلقة أخرى ناحية أمها، ثم وقفت وقالت بمذلة: «نعم. أحب أن أراه».

ودّع أمه وثيرميا باقتضاب ثم دخل المنزل ولانت في أثره. كانا يعبران ردهة الاستقبال عندما سمع دميتري صوت سيارة قادمة فشعر بانقباض غريزي في معدته. وخطر له أن مسار الأحداث ليس في صالحه. ظن أن الأمور لا يمكن تسوء أكثر مما صارت إليه، لكنه أخطأ في حساباته.

قالت لانت بصعوبة: «لا بد أن هذا أبوك وإريادن و... زوجتك».

فألقى عليها نظرة ساخرة وقال: «نعم. أظنك على صواب. ما أروع هذا!».

فنظرت إليه بعتاب: «أنت لا تعني ذلك؟».

- أحقاً لا أعنيه؟

وبالرغم منه، تابع تقدمه إلى الباب: «حسناً، سنرى. أليس كذلك؟».

وقفا على عتبة الباب المفتوح بينما سيارة أبيه تتوقف أسفل

www.rewity.com RAHEEN

الدرجات المؤدية إلى الشرفة الأرضية. كانت جين أول من خرج من السيارة، فأسرعت الآن تدور حولها لتفتح الباب لأبيه. مدت إليه يد المساعدة فاستند إليها شاكراً قبل أن يتناول عصا محمولاً ثقله عليها.

قال بحرارة ظاهرة: «شكراً يا عزيزتي».

ثم رأى ابنه فهتف: «ديميتري».

وإذا بإريادن التي كانت تجلس في المقعد الخلفي ترفع رأسها غير مصدقة، وتصرخ متجاهلة جين وأباه: «حبيبي».

ركضت إليه تمسك بذراعه ثم وقفت على رؤوس أصابعها لتطبع قبلة على خده وهي تقول: «ها قد عدت!».

- ها قد لاحظت!

كان صوته متزناً فيما هو يراقب زوجته وأباه يصعدان الدرجات بحذر. ثم شتم في سره، ووضع حقيبة أوراقه على الأرض وتقدم ليساعدهما، تاركاً إريادن ولانت تتبادلان نظرة بعيدة عن المودة.

قال الأب بضيق: «يمكنني أن أتدبر أمري».

ألقت جين على زوجها نظرة ازدراء وقالت: «أتريد أن تؤثر في حبيبتك؟».

واستحالت الابتسامة التي منحتها لأبيه إلى ابتسامة حقد وهي تنظر إليه فأجاب بحدة: «حسناً، يبدو أنني لا أؤثر فليك. وصدقي أو لا تصدقي لم أكن أعلم أنها قادمة إلى هنا اليوم».

قال هذا متجاهلاً احتجاج أبيه الذي كان ملقياً كل ثقله على كتفه.

قالت غير صادقة تماماً: «هذا لا يهمني».

وركزت اهتمامها على الرجل العجوز مضيفة: «لم تعد المسافة طويلة أمامك ياليو».

هز الرجل العجوز رأسه: «هذا ما أراه. لكنني لست عاجزاً كما

ترين».

قال ديميتري بجفاء بعد أن وصلوا إلى الشرفة الأرضية: «أنت لم تتعود صعود الدرجات».

ثم ترك ذراع أبيه مضيفاً: «ها أنت تعتمد على نفسك».

فقال ليو باقتضاب: «شكراً».

لكنه عندما راى ملامح لانت القلقة رقّ صوته وقال لها: «مرحباً، يا صغيرة. إلى أين تذهبين مع ديميتري؟».

فأجابه ديميتري، وغيظه يتصاعد مع كل كلمة يقولها أبوه: «لسنا ذاهبين إلى أي مكان».

لكن لانت قالت بتوتر: «أنا ذاهبة لأرى ثيو. يقول ديميتري إنه يقيم في الكوخ».

فأومأ الرجل العجوز: «وهل توافق أمك على هذا؟».

قال ديميتري غاضباً: «سواء قبلت أمها أم لم تقبل، فهذا غير مهم».

نظر إليه أبوه محذراً، وهو يقول: «أنت تفعل ما تريد، لكن لا تتوقع السلوك نفسه من كل شخص آخر».

ثم التفت حوله يبحث عن جين قبل أن يردف: «تعالي يا عزيزتي. هل لك أن تعطيني ذراعك؟».

بدا على جين عدم الارتياح. وهذا ماعليها أنْ تشعر به، كما خطر لديميتري غاضباً. فهو لم يحضرها إلى هنا لتدق إسفيناً بينه وبين أبيه. تباً! لقد نال من هذا كفايته تقريباً.

قال متجاهلاً عدم موافقة إريادن: «أريد أن أتحدث إلى زوجتي، إذا أمكن الاستغناء عنها خمس دقائق».

فقال الأب بنفاد صبر: «ألا يمكن إرجاء هذا يا فتى؟».

وكانت هذه هي القشة الأخيرة فأجاب ديميتري بفتور: «لا. غير

ممكن. . جين، هل لك أن تأتي إلى غرفة المكتبة؟ يمكننا أن نتكلم هناك».

نظرت جين حولها بشيء من اليأس لكنها علمت أنها لن تجد أيّ عون سواء من إريادن أو لانت. هز ليو كتفيه باستسلام، وسار على الأرض الرخامية الناعمة، مثبتاً أنه لا يريد معونتها.

أجابته في النهاية مذعنة: «أظن ذلك. .».

وتقابلت عيناها مع عيني لانت القلقتين، فقالت لها: «لا تقلقي. لن أحتجزه طويلاً».

- آه، بالله عليك.

وأمسك دميتري بذراعها وقادها بحزم نحو الممر الذي يؤدي إلى الجناح الغربي من الفيللا. بعدئذ، نظر خلفه وكأنه شعر ببعض الندم لمعاملته تلك لإريادن وأضاف: «سأراك على مائدة العشاء، يا آري. سنمضي الليلة كلها معاً. أعدك بذلك».

لان وجه إريادن: «لا بأس».

وزمت شفتيها الورديتين: «أحبك».

لم يجب دميتري لكنه أدرك أن جين علمت تماماً ما قالته إريادن إذ تصلّبت ذراعها، ولو استطاعت أن تنتزع ذراعها من يده لفعلت. لكنه قادها إلى غرفة المكتبة المليئة بالكتب ثم صفق الباب الثقيل خلفهما.

عندئذ فقط تركها فابتعدت عنه قليلاً وسارت لتنظر من النافذة التي تطل على شلال من الأزهار والنباتات. بدا البحر بعيداً خلف أراضٍ شاسعة مشجرة ترسم حدود أملاك سوفاكيس. لكن المنظر الخلفي كان ساحراً فلون البحر يزداد دكنة ليتحول لونه من الفيروزي إلى الياقوت الأزرق.

وامتد الصمت. أما جين التي صممت على ألّا تكون البادئة

بالكلام فوجدت أعصابها تزداد توتراً. تملكها القلق من أن يكون قد عرف، بشكل ما، بأمر الطفل. ولكن لو عرف بذلك لعلمت هذا قبل الآن.

سمعت صوت أوراق فاضطرت لأن تلتفت إليه شبه متوقعة منه أن يكون ممسكاً برسالة خاصة من طبيبها. لكن هذا مضحك ولم تستطع أن تصدق حتى أنها فكرت فيه، ثم هدأت قليلاً عندما اكتشفت أنه يبحث بين أوراق أبيه. ارتجفت سخطاً وهتفت: «ما الذي تفعله؟ تدعوني إلى هنا ثم تبدأ بقراءة بريد والدك؟ إذا كانت هذه لعبة لتظهر سلطتك فإنس هذا».

بقي دميتري منحنياً على المكتب، لكنه نظر إليها من خلال أهدابه: «هذه ليست لعبة لإظهار السلطة».

قال هذا وعاد إلى مهمته. ثم أضاف رغماً عنه: «يبدو أنك طوقت أبي بسحرك».

شهقت: «وهل هذا ما أردت أن تخبرني به؟».

- لا.

وأخيراً، انتصب في جلسته وقذف بالرسالة كان يتفحصها جانباً: «أردت أن أسألك إن كنت قد تسلمت أوراق الطلاق من كارل جيرارد. كان يُفترض أن تتسلميها منذ أسبوع، قبل أن تغادري وطنك إلى الجزيرة».

انتفخت خياشيم جين وردت عليه بحدة: «حسناً، هذا لم يحدث».

قطب دميتري وسألها: «هل أنت واثقة من ذلك؟».

فسألته ببراءة: «واثقة من أن الأوراق لم تصل منذ أسبوع؟ نعم. أنا واثقة تماماً».

دار دميتري حول المكتب، ثم استند إليه وقال وهو ينظر إليها بإمعان: «هذا غريب جداً. عندما تحدثت إليه هذا الصباح أكد لي أن

الأوراق قد أُرسلت».

قالت بعفوية وهي تتحول ناحية الباب: «اللوم على مكتب البريد إذن».

وصمتت لحظة ثم أردفت: «أما الآن، فإذا سمحت، أحب أن أذهب لأرتاح».

- ليس الآن.

لم يتحرك لكنها كانت واثقة من أنه لن يدعها تذهب قبل أن ينتهي. وقال بنعومة: «أخبريني. متى تريدين أن تعودي إلى لندن؟».

شبكت ذراعيها فوق صدرها: «أتريد أن تتخلص مني؟».

توترت شفتا دميتري: «أريد فقط أن أعلم ما قلته لأبي».

- لم نتحدث عن موعد رحيلي. لا تقلق يا دميتري. لن أخبر أحداً عما حدث في شقتي.

انتفخت خياشيم دميتري: «أنت تقولين هذا وكأنه تهديد».

- لا. أنا أطمئنك فقط إلى أن ليس هناك ما تخافه مني.

- أخاف؟ ولماذا أخاف منك يا جين؟ أنا واثق من أن إريادن لن تهتم بما تقولينه.

بدا مصمماً على الجدل فقالت: «أتعني أنها لن تصدقني؟ يالها من حمقاء!».

فأظلم وجهه: «أتريدين أن تقولي إنك ندمت على ما حدث؟».

فغرت فاها: «هل تمزح؟ طبعاً ندمت».

فقال بشيء من الاحتقار: «لماذا؟ ألم يكن هذا جيداً؟ تبعاً لما تقوله مخدومتك، أنت وعشيقك تمضيان كثيراً من الأوقات في شقتك».

- هذا غير صحيح.

لم تشأ أن تدعه يفلت بهذه التهمة، متمنية، وليس لأول مرة، أن تبعد أولغا أنفها عن شؤونها الخاصة.

- ولماذا عليّ أن أصدقك؟

- لأن أليكس لم يدخل شقتي قط. لا تحكم على الآخرين بمقياسك الخاص يا دميتري، فأنا لا أعاشر أحد.

ضاقت عيناه: «وماذا تفعلان معاً إذن؟».

- هذا ليس من شأنك.

- أسعديني.

ضاقت به ذرعاً فردّت: «كلا. أنا لا أسألك عما تفعلانه معاً أنت وإريادن. لا يهمني ذلك ما دام لا يتعلق بي. لا أصدق أنني سألتك مرة عما فعلته مع لانت».

وبللت شفتيها مردفة: «لست مضطرة إلى ذلك، فقد كنت أعلم».

١٠ - لا تعذّبني

- كنت لا تعلمين شيئاً!

وقفز من مكانه عند المكتب بحركة واحدة تنذر بالخطر فاقشعر بدنها. كان أسمر، ضخماً قوي المظهر وشديد الغضب ولم تستطع أن تمنع نفسها من أن تتراجع هاربة منه.

لكنها وجدت طريقها مسدوداً بالكرسي ذي الذراعين فوقعت عليه وهي تشهق بدهشة. ولاح ديميتري أمامها بشكل مخيف. ظنت للحظة أنه سيضربها، لكنه لم يفعل ذلك بل انحنى فوقها ممسكاً بذراعي الكرسي يحبسها عليها وهو يقول بخشونة، وأنفاسه الحارة على بشرتها التي مازالت حساسة بسبب الشمس: «لا بأس».

كانت ترتدي بلوزة قصيرة وتنورة تبنية اللون.

- ها أنا أقولها ولآخر مرة. لقد نمت مع إريادن ولا أنكر ذلك، لكنني لم أنم قط مع لانت.

لم تستطع جين أن تنكر لذعة الألم التي شعرت بها وهي تسمعه يعترف بأنه وإريادن عشيقان. واستطاعت أن تقول بمرارة: «ثمة من فعل ذلك».

- ولكن ليس أنا.

- لماذا قالت إذن إنه أنت؟

- الجواب هو نفسه الذي قلته لك من قبل. عليك أن تسأليها. لعلها هذه المرة ستخبرك الحقيقة.

ابتلعت ريقها وهي ترفع بصرها إليه: «ما يصعب عليّ فهمه هو كيف يمكنك حتى أن ترافقها إذا كانت كاذبة».

- في البداية لم أستطع ذلك.. لكن أمي...

هزت جين رأسها: «هذا صحيح. كان عليّ أن أدرك أن لأمك دوراً في هذا الأمر».

قال من بين أسنانه: «إنها مولعة بلانت، وهي تعتبرها من الأقارب».

- كما لم تفعل معي قط.

فتنهد: «لا بأس. أعلم أن ذلك كان صعباً عليك. لكن كان يمكن للأمر أن يمرّ بسهولة أكبر».

- قبل أم بعد أن نمت مع لانت؟

- سبق وأخبرتك...

- لا بأس، لا بأس. مازلت لا أفهم لما ينبغي أن يهمك رأيي الآن.

تنفس بحدة: «لأن هذا هو الواقع».

- لماذا؟

- ما رأيك؟

لوت جين شفتيها وقالت ساخرة: «لأنه من غير المسموح أن يعارض أحد ديميتري سوفاكيس العظيم. أم أنك تريد فقط أن تعذبني؟».

فقال: «وهل أنا أفعل ذلك؟».

بدا صوته مخنوقاً، فغامرت بالنظر إليه من تحت أهدابها، ودهشت وهي ترى المذلة على ملامحه. ارتجفت: «أنت تعلم أنك تفعل».

- كيف؟

بسطت يديها وهي تشير إلى ذراعيه: «هل أنا بحاجة إلى قول

www.rewity.com

المزيد؟».

أظلمت عيناه، لكنه اضطر لأن يعترف بأنها على حق. وقال: «لا بأس، فهمت. ربما عليك أن تسألي نفسك عن السبب».

- لماذا تحب أن تعذبني؟

- أنا لم أقل إني أحب ذلك.

أصبح صوته الآن أجش من فيض المشاعر ورفع يده التي لا حظت جين أنها غير ثابتة تماماً ثم أمسك بذقنها وأدار وجهها إليه: «مازلت تقودينني إلى الجنون وأنت تعرفين هذا».

ارتجفت، واستطاع أن يشعر بذلك.

اقشعر جسمها واحمّر وجهها فيما لم يستطع أن يمنع نفسه من أن ينحني ويعانقها.

انطلقت من فمها آهة رقيقة. فركع على ركبتيه وأحاط وجهها بكفيه. كان الإحساس حاداً فائقاً، وفاضت الذكريات. وراحت خفقات قلبه تتعالى كالطبل في أذنيه.

قالت باحتجاج إنما بصوت يكاد لا يُسمع:

أتتوقع منه حقاً أن يتوقف؟ وتسارعت أنفاسه فيما لم تحاول هي أن تبتعد عنه.

أدركت أنه يجرها إلى الشرك الذي عرفته من قبل. كان يهمس بلغته ويلامس ذراعيها وكتفيها الناعمين. وهمس وهو يحني رأسه: «أنت رائعة الجمال».

- يا إلهي، يا ديميتري، إياك...

- لكنني أريد ذلك.

لم يصغ إلى احتجاجها، ووجدت هي أنّ التمسك بتعقلها يزداد صعوبة. كما انّ سماع صوته المتهدج أشعرها برضى بالغ إذ عكس مشاعر فطرية لا يمكن لأي مقدار من الغطرسة أن تخفيها.

هذا جنون، ألا يهمه المكان الذي هو فيه؟ ما الذي قد يحصل إذا خطر لأمه أو إريادن أن تأتيا لتريا ما يحدث؟

يبدو أنه لا يهتم. ولم تستطع أن تتكلم عندما سألها: «هذا أفضل، أليس كذلك؟».

حركت رأسها بإشارة ايجاب عاجزة فوضع يده على رقبتها وأدنى وجهها إليه بعاطفة بالغة الإنفعال. تأوه وهو يتكلم بلغته ليعبّر عن مدى ما يتملكه من مشاعر.

كانت يداها متشابكتين في حجرها، لكنهما تحركتا بشكل لا إرادي تقريباً، فأمسكتا به.

كانت تظن أن المرأة الحامل لا يمكن أن تتجاوب مع زوجها بالطريقة نفسها، لكن هذا ليس صحيحاً. لطالما قادها ديميتري إلى الجنون، ولم يكن الأمر مختلفاً اليوم.

واعترفت في سرّها بأنها تريده بقدر ما يريدها حتى لو ندمت في ما بعد.

لكنها أدركت أنهما عرضة لأن يراهما أي شخص يمرّ قرب النافذة من الخارج.

صدرت عن ديميتري آهة مخنوقة وقال: «إياك أن تجروئي على معارضتي فأنت زوجتي وأنا أريدك».

اكتشفت أنها لم تعد تهتم بالاعتراض مرة أخرى. نظر إليها وقال بصوت خافت: «أنت كاملة. نحن نكمل بعضنا بعضاً، أليس كذلك؟».

قالت بجهد: «نعم، نعم».

ثم أغمضت عينيها وأردفت: «أرجوك...».

- ثمة حدود لتحكمي بنفسي ياحلوتي وقد اجتزناها منذ دقائق. نحن ننتمي إلى بعضنا البعض.

لم تستطع أن تنكر هذا خصوصاً في هذه اللحظة حيث أصبح جسدها ملكاً له وشعرت بأن حرارته تذيب كل أفكارها المترابطة.

لم تكن واثقة كم من الوقت بقيا مستلقيين هناك. في البداية، لم تستطع التحرك ثم وجدت أنها لا تريد ذلك. لكنها، في النهاية، رفعت ذراعها ونظرت إلى ساعتها، وإذا بالرعب يتملكها وهي ترى أنهما أمضيا في المكتبة أكثر من ساعة.

ولا بد أنّ شخصاً ما، أمه على الأغلب، سيبدأ بالتساؤل لما طال الحديث بينهما إلى هذا الحد. وتصورت جين كيف ستتصرف حماتها إذا فتحت الباب ورأت ابنها الغالي بين ذراعي من ستصبح طليقته قريباً جداً.

لم تستطع أن تحتمل فكرة أن تشاهد ماريا سوفاكيس مذلتها. فمهما كانت مبرراتها، يبقى أنها سمحت لديميتري مرة أخرى بأن يستغلها. يا للسماوات! ألم تتعلم درساً من أول مرة؟ إنها امرأة حامل وهي لم تصبح كذلك بسبب التزامها بالتفكير السليم.

- ماذا تفعلين ياحبيبتي؟

احتجاج ديميتري الكسول جعلها تسرع واستطاعت أن تدفعه جانباً وهي تقول: «أنا ذاهبة».

تكلمت بصوت غير ثابت وهي تسّوي ملابسها، ثم عادت تقول: «أرجو أن تحسّن مظهرك ولا أظن إريادن ستسر إن رأتك في حالتك الحاضرة».

شتم ديميتري لكنها لاحظت أنه فعل ما أشارت إليه. بعدئذ، نظر إليها بعينين ضيقتين وقال: «نحن لم ننته بعد كما تعلمين».

ألقت عليه نظرة ثم أجابت بحدة: «بل أظننا انتهينا».

وحين توجهت إلى الباب هذه المرة، لم يحاول أن يمنعها.

- سأراك على العشاء.

ورغم تلهفها لأن ترفض تذكرت أنها ضيفة في منزل والديه والقرار في هذا لا يعود لها.

هزت رأسها وخرجت من الباب، داعية الله أن تصل إلى غرفتها من دون أن تقابل إريادن أو لانت أو أي فرد من أسرة ديميتري. أرادت أن تنفرد بنفسها بحيث تحظى بوقت للتفكير، لا بل أرادت أن تهرب من هذه الورطة التي أوقعت نفسها فيها. لكنها لن تتمكن من ذلك. ستكون مغادرتها الجزيرة مؤلمة لكن عليها أن ترحل وفي أقرب وقت ممكن، قبل أن تقوم بعمل مشين كأن تخبر ديميتري أنها حامل. وما يدعو إلى السخرية هو أنها تفضل أن تعترف له بأنها ما زالت تحبه على أن تخبره بحملها.

حبست أنفاسها. هل هذا صحيح؟ هل هي من الحماقة بحيث وقعت في حبه من جديد؟

لن يصدق ديميتري أبداً أنها لم تتعمد الحمل. وهل تريد حقاً علاقة تقوم على هذا الشك؟

لا عليها أن ترحل من هنا. فحتى لو صدقها ديميتري، سيبقى شبح طفل لانت بينهما دوماً. كما أنه على علاقة بإريادن الآن، وليس لديها الحق في أن تدمر حياته مرة أخرى حتى لو مزق هو حياتها..

كانت قد وصلت إلى السلم عندما ناداها شخص باسمها. في البداية ظنت أنه ديميتري فتابعت طريقها لكنها عادت وانتبهت إلى أن ذلك الصوت أكثر رقة من صوت ديميتري. التفتت إلى الخلف فإذا بها ترى ليو الأب يستند إلى الدرابزين في الأسفل، ما جعلها تتوقف على الفور. ورغم علمها بأنها متوهجة الوجه ولاهثة، عادت تهبط السلم، راجية أن تخفي الشمس الغاربة ملامحها في الظلال.

قالت حين لم يتكلم مرة أخرى: «كنت ذاهبة لتوّي لأغير

ملابسي».

فأمال رأسه جانباً: «أخبرتني إريادن أن دميتري معك فأرجو ألّا يكون قد أساء اليك مرة أخرى».

أساء إليها؟ وشعرت بنوبة غضب سرعان ما كبحتها: «كان... أراد فقط أن يسألني إذا ما تسلمت أوراق الطلاق».

لقد قالت الحقيقة، ثم بللت شفتيها وأضافت: «أنا مسرورة لهذه الفرصة، فأنا أريد أن أتحدث إليك يا ليو. أظن أنّ الوقت حان كي أعود إلى إنكلترا».

قطب جبينه: «ستذهبين؟».

ابتلعت ريقها وردت: «نعم، الآن بعد أن عاد دميتري..».

- إذن كان يرغمك...

لا يمكنها أن تدعه يظن ذلك، فأجابت: «كلا. في الواقع... حسناً، أنا أعرقل الأمور هنا».

- أنت لا تعرقلين أموري، يا جين

فتنهدت: «هذا صحيح، لكنك تدرك ما أعنيه. سرّني أن أراك مرة أخرى. لكنني لم أعد أنتمي إلى هذا المكان».

فتنهد: «حسناً... إذا كان هذا هو قرارك..».

- وهو كذلك.

وعندما رأت خيبة أمله، اندفعت نحوه تحتضنه: «أنت تعلم أنني لا أريد أن أتركك».

- لماذا تتركيني إذن؟

فأجابت وهي تتراجع إلى الخلف: «أنا مضطرة إلى ذلك. أرجو أن تقول إنك تدرك ما أعنيه».

فهز رأسه وقال: «أظنك أخبرت دميتري».

- لا. لم أخبره بعد.

- ألا تظنين أن لديه ما يقوله في هذا الشأن؟

- ربما.

وتنهدت. بما أن إخبار دميتري هو أمر لا يمكنها مواجهته حالياً، أضافت: «هل لك أن تفعل هذا يا ليو؟ أعني أن تخبره بنفسك؟ ولكن ليس.. ليس قبل العشاء، إذا لم يكن لديك مانع».

بدا الانزعاج على ليو وسألها: «هل أنت خائفة منه؟».

كبحت آهة وقالت بارتباك: «لا. فقط... لا أريد أي انفعال من دون سبب. والآن، إذا سمحت، عليّ أن أستعد للعشاء».

www.rewity.com RAYAHEEN

١٠ ـ ارحلي

تملك دميتري الارتياح عندما علم أن ثيرميا لن تشاركهم العشاء. وجد والديه وستيفن وإريادن ينتظرون في البيت الزجاجي عندما وصل. أراد أن يسأل عن جين إلا انه قرر أن يلتزم الحذر.

في البداية، شغله أبوه بالحديث عن المؤتمر الذي حضره لكن حالما توقف الأب ليتحدث إلى والدة دميتري أخذت إريادن مكانه هاتفة: «ما الذي أخرك طيلة فترة العصر بهذا الشكل؟ لقد لبثتما أنت وتلك المرأة دهوراً في غرفة المكتبة ما جعلني مرغمة على تسلية أمك وخالتك. صدقني أن هذا لم يكن سهلاً».

قال بهدوء: «ثيرميا ليست خالتي. هل عادت لانت؟».

فأجابت إريادن باستياء: «لا. هل تتوقع منها العودة؟».

فرد دميتري بحدة: «تمنيت ألّا تعود. ليس لدينا، أنا ولانت، ما نقوله لبعضنا البعض».

بدا الرضا على إريادن، وقالت: «لاحظت أن زوجتك لم يسرها أن تراكما معاً. أظن أنّ ذلك يعيد إليها ذكريات تعيسة، أليس كذلك؟».

لم يستطع دميتري أن يخفي استياءه فسألها: «ما هي تلك الذكريات التعيسة؟ جين لا تعرف لانت».

- لا. لكن رؤيتها للانت ذكرتها كم كانت علاقتكما وثيقة.

- علاقتنا أنا وجين؟

- لا، بل أنت ولانت. هيا يادميتري، أعرف أن الطفل الذي وضعته لانت كان طفلك.

- أنت لا تعرفين شيئاً. على أيّ حال، لا أريد التحدّث في الموضوع معك أو مع أي شخص آخر.

فرفعت إريادن حاجبيها بتسلية: «آه، فهمت. هل هذا ما كنتما، أنت وجين، تتجادلان بشأنه؟ يمكنني أن أتصور كم كان ذلك بهيجاً».

أراد أن يقول لها إنها لاتدري عما تتحدث، لكنه وجد أنه من الأسهل أن يدعها تعتقد أنه تجادل مع جين من أن يجعلها تخمّن ما كانا يفعلانه.

هل أقام علاقة حقاً مع جين أمام نوافذ المكتبة المفتوحة؟ ماذا فعلت له لتجعله لا يهتم بمن قد يراهما؟ ومتى سينتهي كل هذا الهيام المجنون؟

وتابعت إريادن كلامها غير واعية إلى أنه لم يعد يتابعها: «ستبتهج أمك عندما ترحل جين وأظن أن ليو ابتدأ يتمنى لو أنه لم يدعها إلى هنا».

شكك دميتري في ذلك وهو يتذكر معاملة أبيه لجين عصر هذا اليوم ما جعله لا يشك في أن الرجل العجوز مولع بها. ولعله مولع بها أكثر مما ينبغي، ما دام يتوقع طلاقها من إبنه وزواجه من أخرى.

والتفت إلى الباب وإذا به يرى أباه يتجه إليه ليحيي جين. كانت ترتدي سروالاً ضيقاً من الحرير، وسترة من الحرير كلاهما باللون الأسود الذي أبرز بياض بشرتها الناصع.

أثارته رؤيتها على الفور، وخشي أن يلاحظ أحد ما ارتسم على وجهه من مشاعر. لكنه طمأن نفسه إلى أن البيت الزجاجي معتم إلى حد كبير، لا تضيئه سوى فوانيس قليلة موزّعة في المكان. كما أنه استعاد تحكمه بمشاعره أثناء احتفاء أبيه بها.

اقترح الأب بشيء من الخبث: «لِمَ لا تحضر لزوجتك شراباً، يا ديميتري؟».

ورغم أن ديميتري استاء من هذه الإلفة، إلّا أنّ هذا الاقتراح منح الأب سبباً ليحوّل عينيه عنها.

- هل أحضر لك «أوزو»؟

فهزت رأسها: «عصير برتقال فقط، رجاء؟».

لاحظ أنها تجنّبت عينيه قبل أن تلتفت باسمة إلى أخيه الأصغر الذي جلس بقربها: «نسيت أن أشكرك يا ستيفن لأنك أخذتني إلى كاليبي هذا الصباح».

تمتم ستيفن بتعليق يقلل من أهمية هذا العمل، لكن ديميتري شعر باستيائه يتعاظم وهو يتصور جين وأخاه معاً. ستيفن لا يهتم بصحبة النساء، فما الذي جعله يأخذ جين إلى المدينة؟ يمكنها أن تقود السيارة وتذهب بمفردها، فلِمَ لم تفعل ذلك؟

وأخطأ إذ نظر إليها عندما أحضر لها كأس عصير البرتقال، فقد بادلته النظر بنظرة استفزاز ثم قالت تتصنع الاهتمام به: «شكراً، ألا تشرب أنت شيئاً؟».

فتوتر فكه: «مزاجي ليس حسناً».

ورفع حاجبه ساخراً قبل أن يردف: «ماذا اشتريت من كاليبي؟ لو علمت أنك بحاجة إلى شيء ما لأحضرته لك من أثينا».

عندئذ، تدخل ستيفن قائلاً: «ألا تعلم بصفتك رجلاً متزوجاً أن المرأة تستمتع بالتسوّق حتى وإن لم تكن بحاجة لشيء؟».

فسارعت إريادن تقول: «لن يطول ذلك، أليس كذلك يا حبيبي؟».

وتأبطت ذراع ديميتري وهي تتابع: «لأنك متلهف لتصبح حراً».

رأى ديميتري جين تزمّ شفتيها لهذه الدعابة العديمة الذوق، لكن

ستيفن هو من أجاب: «من حسن الحظ أنني هنا لأكون نصيراً لجين».

وأحاط خصر جين بذراعه وشدّها إليه مضيفاً: «لقد انسجمنا معاً إلى حد كبير، كبير... أليس كذلك يا عزيزتي؟».

فقالت جين وقد عادت إليها ابتسامتها: «حسناً، لابد أن أعترف بأنك اعتنيت بي بشكل جيد جداً».

شعر ديميتري أنه يريد أن يسدد لكمة إلى وجه أخيه المغرور فقال وهو يحرر نفسه من قبضة إريادن: «لِمَ لم تذهبي بنفسك إلى المدينة؟ سيارتك مازالت في المرآب أليس كذلك؟».

قالت إريادن وهي تحاول أن تمسك بذراعه مرة أخرى: «لقد أعطتني أمك سيارة البورش تلك يا ديميتري، كما أن جين لم تعد تعيش هنا».

نفض يدها عنه وهو يقول بغضب ملتهب: «ليس لأمي الحق في أن تعطي تلك السيارة لأحد».

حتى ستيفن بدت عليه الدهشة إزاء عنفه هذا، وغامر بالقول: «لكنها ليست سيارة جديدة».

لكن نظرة واحدة إلى وجه أخيه جعلته يصمت.

قال ديميتري بخشونة واصرار: «السيارة سيارة جين. لماذا لم يستشرني أحد بهذا الخصوص؟».

وكانت الأم قد سمعت الأصوات المرتفعة فالتفتت باستنكار إلى ابنها الأكبر: «بالله عليك، يا ديميتري، إنها مجرد سيارة وليست جواهر التاج!».

فقال غاضباً: «وأنت كنت متلهفة لإذلال جين، أليس كذلك؟».

ثم التفت ونظر إلى إريادن مضيفاً: «لا تخبريني أنك ذهبت لتحضريها من المعدّية بتلك السيارة».

- فعلت هذا طبعاً. إنها مجرد سيارة يا ديميتري كما قالت أمك.

بدا واضحاً أن إريادن لم تفهم سبب هذه الضجة كلها. وقال هو بكآبة: «إنها سيارة جين وليست سيارتك».

أدركت جين أن عليها أن تتدخل قبل أن يقول أو يفعل ما يندم عليه حتماً بعد رحيلها. فقالت وهي تنظر إلى عينيه الساخطتين بهدوء: «أنا لا أريدها، وهنيئاً لإريادن بها. إنها مناسبة للمنطقة».

- إذا كنت تظنين...

لم يكن لدى جين فكرة عما أراد دميتري أن يقوله إذ قاطعه والده قائلاً بحزم: «العشاء جاهز. تحاول انجيلينا منذ خمس دقائق لفت انتباهنا. هل نذهب؟».

وألقى على دميتري نظرة تحذير.

كان العشاء رائعاً، مؤلفاً من اللحوم والأسماك والخضار المطهوة فضلاً عن السلطة اليونانية. ولعله كان لذيذاً لكن جين وجدته ثقيلاً. وشعرت بالارتياح عندما رُفعت الأطباق لتقدّم الحلوى..

ظنت أن أحداً لم يلاحظ قلة شهيتها لكن عندما تركوا المائدة وانتقلوا إلى الصالون المجاور لاحتساء القهوة، وجدت دميتري إلى جانبها يسألها بصوت خافت: «ألست جائعة؟».

نظرت إليه بنفاد صبر: «هل أدهشك ذلك؟».

- هل تلومينني؟

- حسناً، إنني أتساءل عن سبب كل ذلك الهياج. أنت ستتزوج إريادن، فلِمَ عليها ألا تستعمل السيارة؟

انتفخت خياشيم دميتري: «هذه السيارة لا تعني لك شيئاً أليس كذلك؟».

- دميتري، السيارة بقيت مركونة طوال السنوات الخمس الماضية. فلِمَ لا؟

- كنت أعمل على صيانتها بانتظام.

- هذا جميل منك.

حاولت أن تبدو لامبالية، لكن إصراره أثر في أعصابها. دمّرها أن تكون قريبة منه جسدياً إلى هذا الحد، بينما تعلم أن هاوية عميقة تفصل بينهما. كان ذهنها مليئاً بما حدث بينهما.

قال عابساً: «أظن أنّ هذا هو السبب الذي جعلك تطلبين من ستيفن أن يأخذك إلى المدينة. لم أكن أعلم أنك واخي صديقان حميمان».

ردت عليه بحدة: «ثمة أمور كثيرة لا تعرفها عن أخيك».

ونظرت من حولها بسرعة فرأت أن بقية أفراد الأسرة ينتظرونهما لينضما إليهم فقالت: «علينا أن نجلس».

- ثانية واحدة!

لحسن الحظ أن الخادمة اختارت تلك اللحظة لتأتي بإبريق القهوة. ورغم أن جين كانت واثقة من أن ماريا وإريادن لعنتاها لأنها حجبتهما عنهما، إلا أنّ مرورها منح دميتري الوقت الكافي ليطلب منها أن تفسر ما تعنيه. فقالت بإصرار، متمنية لو بإمكانها أن تسحب كلماتها: «هذا غير مهم. انظر. أمك وإريادن تنظران إلينا».

- أريد أن أعلم ما عنيته. ما الذي لا أعرفه عن ستيفن؟ لا تخبريني بأنه أصبح الآن يفضل النساء على الرجال.

- لا تكن بهذا الاستعلاء. يبدو أن ستيفن ورفيقه عاشا معاً أكثر من ست سنوات.

- أعلم هذا. لديهما بيت في كاليثي. ستيفن يمضي الكثير من الوقت في الفيلا بسبب مرض أبيه فقط.

لاحظت جين أن الأنظار انصبّت عليهما الآن، فقالت: «وهذا هو المفروض إذن».

فازداد عبوساً: «لم تفسري لي بعد ما عنيته بكلامك عن ستيفن.

www.rewity.com REWITY AHEENA

ما الذي لا أعرفه وعليّ أن أعرفه؟».

- آه، دميتري... لا يمكننا أن نناقش هذا الآن.

- هذا حسن، سآتي إلى غرفتك في ما بعد. عندئذ يمكنك أن تخبريني.

لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تسأله ببراءة: «ألن تكون حينذاك مع إريادن؟».

وجود أسرته منعه من أن يجيبها بما تستحقه، فقال: «بعدما جرى بيننا عصر هذا اليوم؟ لا أظن ذلك».

فهتفت بانفعال: «آه... دميتري».

ولتخفي شعورها الحقيقي، قالت بتهور: «لا بد أنك تكبر في السن. في الماضي كنت أكثر قدرة على الاحتمال».

وتصاعد رنين الهاتف في مكان ما من المنزل، لكن دميتري تجاهله إذ راح يحدّق في جين وفي عينيه غضب واضح فأسرعت إلى حيث جلست بجانب أبيه. أدركت أنه ليس من العدل أن تستفزه بينما لا يستطيع أن يجيبها، لكن يبدو أنها تمادت هذه المرة حتى بالنسبة إليه.

- ما الذي تعنينه بذلك بحق جهنم؟

وتقدّم ليقبض على ظهر الأريكة خلفها: «جين... هذا إنذار مني..».

مهما كان ما أوشك أن يقوله، فقد توقف عن الكلام عند ظهور مدبرة منزل أبيه المفاجئ. وقفت أنجلينا عند العتبة... بدا واضحاً من وجهها المتوهج ويديها القلقتين أن ثمة خبراً هاماً تريد أن تقوله.

قالت وهي تنظر إلى دميتري: «عفواً، يا سيدي. لكن لديك مخابرة من أثينا».

كانت تتكلم بلغتها الأم لكن جين فهمت معظم ما قالته: «قلت لهم إن الأسرة تتناول العشاء لكن السيد أفينيس أصر على التحدّث

إليك شخصياً. إنه يقول إن القضية مسألة حياة أو موت».

تردد دميتري لحظة قبل أن يستدير ويتبع المرأة خارجاً من الغرفة. وترك ذهابه فراغاً غير مريح سرعان ما ملأه الأب كالعادة.

- ما كان أفينيس ليتصل لو أن الأمر ليس هاماً.

وحاول أن يقف لكنه عاد فجلس: «ماريا، هل لك أن تذهبي لتري ما حدث؟ أردت أن أذهب بنفسي، ولكن...».

وبسط يديه بحركة واضحة المعنى فلم تعترض ماريا لأول مرة: «طبعاً».

ووضعت قهوتها مضيفة: «أرجو المعذرة منكم جميعاً..».

لم تعرف جين ما عليها أن تقول، لكن ستيفن قال: «كان عليك أن تطلب ذلك مني، يا أبي. بإمكاني أن أحمل رسالة، كما تعلم».

هز ليو رأسه، وقد بدا وكأنه لا يتمالك أعصابه: «لا أظن ذلك، يا ستيفن. آسف! لكن بإمكانك طبعاً أن تذهب لترى إن كان هناك ما يمكنك القيام به».

هز ستيفن رأسه: «هل من فائدة؟».

- ربما، إذا لم يكن لديك مانع.

تردد ستيفن لحظة، لكنه عاد ووقف ليغادر الغرفة تاركاً والد دميتري مع إريادن وجين فقط.

قالت إريادن: «ماذا حدث برأيك؟».

هز ليو رأسه مرة أخرى: «الله أعلم، لعله اصطدام بين ناقلات نفط».

فتحت إريادن فمها ذهولاً: «وهل هذا خطر؟».

فأجاب بابتسامة مرغمة: «قد يكون كذلك. دعينا نرجو ألا يكون كذلك».

بللت جين شفتيها: «هل... هل سيتسلم دميتري الأمر».

أجاب قبل أن تتمكن إريادن من أن ترد عليها بأن الأمر ليس من شأنها: «ليس بالضرورة».

وحدق في سقف الغرفة مفكراً وعاد يقول: «لدينا عمّال فنيون لمثل هذه الأمور. لكن... طبعاً قد يرغب هو في ذلك».

قالت جين متفهمة: «كما كنت لتفعل أنت».

ابتسم بشيء من الكآبة وقال وهو يربت على يدها: «أنت تعرفينني جيداً يا عزيزتي. كنت سأعشق المشاركة».

ابتسمت جين بينما بدا الاستياء على إريادن.

وفي هذه اللحظة عادت ماريا إلى الغرفة محاولة أن تبعد القلق عن ملامحها وهي ترى زوجها.

- حسناً؟

سألها بفروغ الصبر: «حسناً؟».

فتنهدت: «ثمة حادث».

وعادت إلى الجلوس قبل أن تتناول فنجان قهوتها البارد: «أين أنجلينا؟ القهوة لم تعد ساخنة».

- ما نوع الحادث؟

أراد ليو أن يعلم فوضعت قهوتها من يدها: «سيعالج ديمتيري الأمر. هل يريد أحد منكم..؟».

- ماريا؟

حملق فيها الآن فتأوهت وقالت مستسلمة: «لا بأس لا بأس. حدث انفجار. لم يتضح بعد كيف حدث ذلك لكن السفينة «أرتميس» مثقوبة في البحر».

شتم ليو وقال: «مثقوبة؟ هل أصيب أحد؟».

- يقول أفينيس إن رجلاً قد أصيب. وهذا كل ما في الأمر.

فقال بارتياح: «الحمد لله! ولكن هل «أرتميس» معرّضة للغرق؟».

- هذا ممكن.

ومالت نحوه وربتت على ركبته: «عليك ألّا تقلق يا ليو. ديمتري سيتولى كل شيء كما أخبرتك».

بدا الإحباط على وجه ليو: «أظنه سيعود إلى أثينا الليلة؟».

- إنه يرتب الأمر. سيأخذه كوستاس.

فأومأ ليو: «نعم، الهليكوبتر ستأخذه مباشرة إلى هناك».

بدا الرعب على وجه ماريا: «آه... لا أظن ذلك».

وشعرت جين بوخزة من القلق في أعماقها فيما قال ليو مؤكداً: «أنا أعرف ديمتري. سيرغب في رؤية الحادث بنفسه».

- ولكن... أليس في ذلك خطر عليه؟

كانت إريادن هي التي تكلمت، فنظر إليها والد ديمتيري بفروغ صبر: «الحياة نفسها خطر. ألم تكتشفي ذلك بعد؟ لقد اكتشفت جين هذا، أليس كذلك يا عزيزتي؟».

لم تعرف جين كيف تجيب، لكن لحسن الحظ عاد ستيفن فتحوّلت الأنظار إليه: «هل أخبرتك ماما بما حدث يا بابا؟».

ومال على الأريكة التي يجلس عليها أبوه قبل أن يردف: «أنا ذاهب مع ديمتري».

ورفع حاجبيه ساخراً وهو ينظر إلى جين: «أليس هذا جديراً بالإعتبار؟».

حدقت جين فيه، لكن ماريا هي التي قالت بقلق: «لا يمكنكما أن تذهبا، أنتما الاثنين، يا ستيفن. ماذا عن... ماذا عن أبيك؟ ماذا عنا؟ قد نحتاج إليك..».

فقاطعها ليو: «دعيه يذهب يا ماريا. ربما حان الوقت لكي أتذكر أن لي ثلاثة أبناء وليس اثنين فقط... ستيفن؟... كن حذراً فقط...؟».

- سأفعل، يا بابا.

وأمسك بكتفي أبيه لحظة ثم غادر الغرفة بعد كلمة وداع.

أوشكت ماريا على البكاء، وارتجفت جين بشكل واضح. فكرة توجّه الرجلين بالطائرة إلى سفينة نفط انفجرت لتوّها، كانت مخيفة. تمنت لو تذهب لرؤية دميتري لتخبره بأن ينتبه لنفسه، لكنها لا تملك هذا الحق. لكن إريادن هبّت واقفة بعد لحظة، ولحقت بستيفن. ونظرت ماريا إلى جين ببرودة: «حسناً، أرجو ألّا تدعي هذا الحادث يؤثر في قرارك بالرحيل في أسرع وقت ممكن، وأظنك، في هذه الظروف، على صواب، أليس كذلك؟».

١٢ - كشف السر

أوقفت جين سيارتها أمام بيت أمها، ثم جلست دقائق عدة تتساءل كيف ستتدبر الأمر. عليها أن تخبر أمها أنها حامل إذ لا يمكنها أن تغامر بأن تدع أولغا تذيع الخبر، كما أنها لم ترَ أمها منذ أكثر من أسبوع وهي تستحق أن تعرف الحقيقة!

ومع ذلك، لم تكن متشوّقة لأن تخبرها بنهوية والد الطفل.

لقد غادرت كاليثي عصر أمس. ورغم كراهية والد دميتري لرحيلها، إلّا أنه استدعى لها طائرة هليكوبتر لتأخذها إلى أثينا بدلاً من أندروس حيث كانت تنتظرها تذكرة سفر إلى لندن على مقاعد الدرجة الأولى.

كانت جين شاكرة جداً لهذا، فهي لم تنم جيداً ليلة سفرها إذ كانت لا تعرف أين هو دميتري أو ماذا يفعل. لم تستطع أن تنكر خوفها على سلامة دميتري وستيفن معاً. ولو أن ماريا لم تجعل وضعها بتلك الصعوبة، لبقيت يومين آخرين لتطمئن إلى أنهما بخير.

لكن ليو طمأنها إلى أنه تلقى اتصالاً من دميتري وأن الأخبار جيدة. حسناً، سيتلقى ليو المعلومات مباشرة، عليها هي أن تعتمد في لندن على نشرات الأخبار لسماع أيّ خبر عن السفينة وعن زوجها.

كان ليو قد رافقها إلى مهبط الهليكوبتر، بعيداً عن نظرات زوجته المستنكرة، حيث شكرها مرة أخرى على حضورها، وعبّر لها عن أمله في أن يتقابلا مرة أخرى. حينذاك قالت له جين إنها ستلبي دعوته

www.rewity.com REWITY

ولعل هذا لم يكن تصرفاً حكيماً نظراً للظروف، حسب اعترافها. فكيف يمكنها أن تعود إلى كاليثي بينما سيظهر حملها بشكل واضح بعد أسابيع.

وأخذت تفكر يائسة في أنها لن ترى والد دميتري مرة أخرى. وفيما هما ينتظران كي يضع الطيار أمتعتها على متن الطائرة، تملكها شعور بأن لديه الكثير ليقوله لها، وتكهنت بأنه يريد أن يدافع عن ابنه، لكنه لم يستطع أن يجد الكلمات. على أي حال، عليها أن تضع أيامها تلك في كاليثي خلفها. إن حياتها هنا في لندن. وفي غضون أيام، ستعود إلى عملها في بيع وشراء التحف.

فتحت السيدة لانغ الباب ثم هتفت وهي تقبّل ابنتها على خديها: «حسناً، حسناً، لم تخبريني بقدومك».

وتنحّت جانباً لتدعها تدخل الردهة الضيقة.

- وصلت الليلة الماضية. هل نجلس هنا في المطبخ؟

وأشارت إلى المطبخ القريب فأجابت الأم: «لا. سنصعد إلى الطابق العلوي. جهزت لتوي إبريق شاي. ادخلي وسأحضر الصينية».

فترددت جين: «أتريدين مساعدة؟».

قالت الأم بحدة: «أنا قادرة تماماً على حمل صينية إلى الطابق العلوي. لن أتأخر طويلاً».

صعدت جين السلم ودخلت إلى غرفة نوم أمها التي تطل على فسحة أمام البيت، ولم تستطع إلا أن تقارن بينها وبين شقتها البسيطة.

- اجلسي بالله عليك.

كانت أمها قد دخلت الغرفة ووضعت الصينية على طاولة أمام المدفأة.

جلست على كرسي بذراعين ثم تناولت فنجان الشاي من يد أمها.

جُلست الأم على أريكة بجانبها: «ها قد عدت إذن؟ هذه الأريكة مريحة أليس كذلك؟».

ثم نظرت إليها تقيّمها قبل أن تضيف: «مازلت تبدين شاحبة. هل أنهم من هذا أن الأمور لم تسر بشكل جيد؟».

قالت: «كانت... لا بأس بها. لقد رحب ليو بي كثيراً».

قالت جين هذا بغموض، فقالت الأم: «وماذا عن دميتري؟ هل كان هناك؟ ما يذكرني... أذيع خبر عن أنّ ناقلة نفط من سفنه قد احترقت. لا أظنك تعلمين شيئاً عن ذلك؟».

حبست جين أنفاسها: «ماذا قالوا؟ هل... هل تضرر أحد؟».

قطبت الأم جبينها: «إذا كنت تعنين دميتري فلم يذكر اسمه. يبدو أنه لم يكن موجوداً. رجل مثله لا يقحم نفسه في أحداث خطرة كالانفجارات».

- هذا غير صحيح. في الواقع، سمعت بالحادث فقد حدث في الليلة التي سبقت عودتي إلى الوطن. فذهب دميتري وأخوه إلى أثينا على الفور.

- هذا إذن سبب عودتك إلى الوطن؟

فقالت جين مدافعة: «كلا. كنت قد أخبرت ليو من قبل أنني سأرحل وذلك قبل أن يقع الحادث».

- آه... حسناً... مما سمعته لم يكن الحريق عظيماً. أظن الضجة التي حدثت هي بسبب الخطر الذي قد يمتد إلى السفن الأخرى.

أومأت جين إذ لم تجد في نفسها الثقة لتتحدث في الموضوع. لم يكن خطر امتداد النار إلى السفن الأخرى هو الذي أخافها، بل وجود دميتري في ذلك المكان.

ساد الصمت لحظات قالت الأم بعده: «وكيف حال السيد سوفاكيس؟».

- ليست سيئة. إنه هزيل للغاية وليس قوياً بما يكفي. لكن ذهنه مازال بالغ النشاط كعادته.

قالت الأم بارتياب: «أتظنين ذلك حقاً؟».

فأجابت جين: «ماذا تعنين؟».

- حسناً، إنه يعلم أنك وديميتري بدأتما معاملات الطلاق، أليس كذلك؟ وهكذا كان عليه أن يعلم أنه ليس من الحكمة أن يدعوك إلى منزله. هل ظن أن جمعه لكما معاً قد يؤدي إلى تغير ما.

- لا، طبعاً لا.

وارتجفت يدها فوضعت كوب الشاي من يدها بسرعة على الطاولة.

أمعنت أمها النظر فيها مفكرة ثم سألتها بدهاء: «هل رجوت ذلك؟».

احمرت وجنتا جين: «رجوت ماذا؟».

- رجوت أن يغير ديميتري رأيه؟

- لا!

وهذا صحيح فهي لم تكن ترجو أمراً كهذا عندما غادرت إنكلترا. وتابعت تقول: «لقد تركت ديميتري يا أمي، ولا أفكر في العودة له».

لم يبدُ الاقتناع على الأم وفكرت جين في استحالة أن تخبرها عن الطفل الآن.

- متى ستعودين إلى العمل إذن؟

قالت جين وقد بدا عليها الإنهاك والضجر: «لا أدري. ربما غداً أو بعد غد سأتحدث إلى أولغا».

فقالت الأم باستياء: «ما أجمل أن تظهري كل هذا الاندفاع

والنشاط نحو العمل».

بللت جين شفتيها: «حسناً، لم تكن صحتي جيدة مؤخراً».

فقالت الأم بانتصار: «هذا ما ظننته. لقد قلت لك قبل السفر إنك تبدين مريضة».

فقالت جين باستسلام: «هذا صحيح».

- ما الأمر إذن؟ هل ذهبت إلى طبيب؟

- ذهبت قبل السفر.

- ولم تخبريني؟ أظنك أخبرت تلك المرأة إيفانوفيش. لكنني أمك فقط وأنت لا تظنين أني أستحق أن أعلم ما يجري..

- أنا حامل!

لم تكن جين تعلم ما ستقوله قبل أن تنطق بهذه الكلمات.

كانت تعلم فقط أن عليها أن توقف فيض كلام أمها. بعد ذلك، جلست وأخذت تحدق فيها بذعر.

هذه المرة استمر الصمت لوقت أطول. ووضعت أمها الكوب من يدها، وأخذت تزدرد ريقها مراراً وكأنما جف حلقها..

بعدئذ، قالت بهدوء: «أظنه ديميتري».

هبط كتفا جين: «نعم».

- آه، يا جين!

توقعت ردود فعل كثيرة من أمها، ولكن ليس العَطف:

- منذ متى عرفت؟ هل هذا هو سبب ذهابك إلى اليونان.

- لا. ديميتري لا يعلم. يجب ألّا يعلم فهو سيتزوج امرأة أخرى.

حدقت فيها أمها غير مصدقة: «أنت لست جادة. لكن يا جين، كيف تدعينه يتزوج امرأة أخرى بينما أنت حامل بطفله؟ هذا غير معقول منك».

تنهدت جين وردت: «أمي ، كوني حاملاً لا يشكل فرقاً بالنسبة إلى. .إلى شعورنا نحو بعضنا البعض».

- لا أصدق هذا.

عضت جين شفتها: «ما حدث بيني وبين دميتري كان. . . غلطة. كان يجب ألا يحدث أبداً».

- لماذا فعلتما ذلك إذن؟

- آه لا أدري. كنت متكدرة. . .وهو. . .وهو. . .

سرّت جين الآن لأنها لم تخبر أمها بسبب رغبة دميتري في الطلاق.

- استغل الفرصة.

- لا. لم يكن الأمر كذلك.

- كيف كان إذن؟

احمر وجهها لهذا السؤال: «أمي، أرجوك. لقد حصل ما حصل. ألا يمكنك تقبّل ذلك فقط؟».

نظرت إليها أمها عن قرب: «ألا تأخذين عادة حبوباً لمنع الحمل؟».

- أنا أفعل عادة. كان الأمر تهوراً مني، أعلم هذا.

- يا إلهي العزيز!

- أعرف أن هذا غباء. أنا أدرك ذلك الآن.

- أتساءل كم من النساء الشابات قلن ذلك.

ونهضت الأم عن الأريكة وأخذت تتمشى في أنحاء الغرفة بقلق، ثم عادت تقول: «دعينا نواجه ذلك، إنه ملام مثلك».

- لعله اعتقد مثلك أنني أتناول حبوباً لمنع الحمل. لم نتحدث في الأمر حينذاك.

- ومع ذلك. . .

- أمي، هذه ليست مشكلة دميتري، إنها مشكلتي أنا. وسأبقي الأمر كذلك.

فشخرت أمها: «يبدو أن ذلك الرجل تعوّد إنجاب الأطفال من نساء ما كان ينبغي له. .».

ترددت قبل أن تتابع «أظنك: رأيتها هناك. . . ماذا كان اسمها؟ لانت؟».

أحنت جين رأسها: «نعم. رأيتها».

- وهل هي من سيتزوجها؟

وترددت جين ثم قالت: «لا. لقد مات طفل لانت».

- أحقاً؟ هذا مناسب جداً.

- لم يكن الأمر كذلك.

شعرت جين بأن عليها أن تدافع عن تلك الفتاة فتابعت تقول: «أظنها كانت متكدرة جداً».

- وهل كان دميتري متكدراً هو أيضاً؟

- أظن ذلك. . .

وسكتت لحظة ثم أضافت: «مازال ينكر أن الطفل ابنه».

حدقت أمها فيها: «أنت لا تصدقينه، أليس كذلك؟».

بدا العجز على جين: «لا. . .لا».

- هذا شيء سار على أيّ حال.

وبدا الارتياح على وجه الأم: «ماذا ستفعلين الآن؟ هل ستربّين الطفل وحدك؟».

- هذا هو الخيار الأول.

فقطبت الأم وسألت: «الخيار الأول؟ وماهو الخيار الثاني؟ إذا لم ترغبي في إعلام دميتري. .».

وسكتت، وعندما تكلمت مرة أخرى، عكس صوتها اهتماماً

www.rewity.com
RAYAHEEN

حقيقياً: «أنت لم تفكري في .. عدم إنجاب الطفل، أليس كذلك؟ أعني... لاحاجة لأي قرار سريع. يسرني أن أفعل ما أستطيع، وأعلم أن لوسي ستساعدنا».

- آه، يا أمي.

شعرت جين بعينيها تغرورقان بالدموع: «آخر ما تحتاجينه هو طفل هنا».

ردت أمها بحزم: «لا تنسي أن هذا الطفل هو حفيدي مثل بول وجسيكا».

قالت جين بصوت مخنوق وهي تقف وتعانق أمها: «ماما، أنا أحبك وأنت تعلمين ذلك..».

حاولت الأم أن تتذمر فلم تفلح: «والآن، اشربي الشاي. الشابات الحوامل يحتجن لكل قواهن».

١٣ - عودة الذكريات

كان ديميتري واقفاً عند نافذة غرفة نومه في بيته في كاليني يحدق في البحر المعتم، عندما سمع طرقاً متردداً على بابه.

شتم لأنه لم يكن قد ارتدى بعد ثيابه لتناول العشاء في الفيلا. سار ليفتح الباب راجياً من كل قلبه ألّا يكون الطارق إريادن، فهو لا يريد جدلاً آخر معها. لم تستطع أن تفهم لما فقد رغبته فيها منذ رأى زوجته مرة أخرى، والله يعلم أن ما من جواب لديه.

وتملكه الارتياح عندما رأى أن الطارق ليس إريادن إنما الخادم الذي يحمل إليه خبراً بأن أباه ينتظره. أبوه؟ ولم يتردد ديميتري في اللحاق بالخادم إلى الطابق السفلي.

قال: «أبي ما الذي جاء بك إلى هنا؟ هل من حدث غير عادي؟».

نظر الرجل العجوز إلى ابنه: «أخبرني...».

قطب ديميتري جبينه: «ما الذي تريدني أن أخبرك به؟».

- آه، هيا.

انتظر الأب وعندما لم يتكلم إبنه، تابع يقول: «إريادن تظنك غيرّت فكرك بالنسبة إلى الزواج. هذا ما قالته لأمك».

شعر ديميتري بوجهه يلتهب: «على إريادن أن تحتفظ بآرائها لنفسها».

- هذا ليس صحيحاً إذن؟

- أنني غيرت رأيي بالنسبة إلى الزواج منها؟ أنا لم أقل شيئاً كهذا.

- لعلك فعلت شيئاً؟ إريادن تشعر بالإهمال.

وقف دميتري، وقال: «ما الذي قالته؟».

- لا أظنني بحاجة لأن أجيب عن هذا السؤال يا دميتري.

فتأوه ابنه: «يا إلهي!».

- إذا أردت أن تقول إن لا علاقة لك بهذا، فإياك!

ورفع ليو عينيه الداهيتين إليه مضيفاً: «أجب عن هذا السؤال فقط. هل رأيت جين منذ عادت إلى إنكلترا؟».

- أنت تعلم أنني لم أرها.

- أنا أعلم؟

- ينبغي أن تعلم. فقد أمضيت الأسابيع الثلاثة الأخيرة في أثينا أعالج مسألة انفجار السفينة. متى تيسر لي الوقت للذهاب إلى إنكلترا؟

- ولم تزرك هي في أثينا؟

- من؟ جين؟ طبعاً لا.

وشخر ساخراً، فقال ليو: «حسناً، إذا قلت إنك لم ترها فأنا أصدقك. ولكن أخبرني أمراً آخر. هل رغبت أنت في ذلك؟».

- رغبت في ماذا؟

- في أن تراها يا دميتري؟ أن ترى جين. إنه سؤال غاية في البساطة.

شتم دميتري ودفع الكرسي التي كان يجلس عليها، قبل أن يلتفت إلى أبيه مرة أخرى ويقول وهو يدس أصابعه في شعره: «لا بأس. ماذا تريدني أن أقول يا ابي؟ أخبرني بما تريد أن تسمع وسأقوله. بهذه الطريقة أظننا سنوفر الكثير من الوقت».

توتر فم ليو: «لا حاجة لذلك، يا دميتري. طرحت عليك سؤالاً

بسيطاً».

- نعم، هذا صحيح.

- وعليّ أن أفترض أن شكوكي لها ما يبررها.

فقال الابن بحرارة: «لا، لا. إنها ليست كذلك. أعترف بأنني لم أمنح إريادن الانتباه الذي تستحقه في الأسابيع الأخيرة. لكن حالما يتم الطلاق، سأكون حراً في التعويض عن ذلك. وسترى».

لم يبد الاقتناع على أبيه: «إذن رؤيتك لجين مرة أخرى لم تشكل أي فرق في شعورك نحو إريادن؟».

- لا!

فتنهد ليو: «لماذا لا أستطيع أن أصدقك؟».

- أبي، مهما كان شعوري، وأنا لا أقول إنني أشعر بشيء، فجين لا تهتم بي. وأنت تعرف ذلك.

وتردد. وعندما لم تتغير ملامح وجه أبيه، قال بعناد: «لابأس، ثمة انجذاب بيننا. لطالما كان الحال كذلك، لكنها لن تغفر لي أبداً ما تظنني فعلته مع لانت. وما من شيء سيغير هذا. وهكذا..».

- يمكنك أن تخبرها الحقيقة.

- أتظنها ستصدقني؟ إنها لم تصدقني من قبل قط.

- لأنك كنت دوماً تخفي عنها شيئاً.

- نعم، إذا كانت قد أحبتني، فعليها أن تصدقَ كل ما أقوله.

- آه، يا دميتري، لا تكن بهذا الغرور والازدراء للآخرين! ماذا كنت لتشعر لو اكتشفت أن جين حملت بطفل، فزعم رجل آخر أنه الأب؟

نظر دميتري إلى كأسه: «أظنني ما كنت لأدينها لفقدان الأدلة الكافية».

فقال الأب ساخراً: «يا للشهامة يا دميتري! أنا أعرفك. كنت

لتطردها من بيتك ثم تمزق ذلك الرجل إرباً إرباً».

صرف ديميتري بأسنانه: «أهذا رأيك بي، يا أبي! ما الذي تقوله؟ أنه ما كان لي أن أطلّق جين؟ ظننتك مولعاً بإريادن؟».

فقال الأب بفروغ صبر: «نعم أنا مولع بإريادن. في طفولتكما، ظننت أنها ستكون الزوجة المناسبة لك. لكن هذا لم يحدث قط. لقد قابلت جين، وأدركت منذ اللحظة التي رأيتكما فيها معاً أنها حبيبة عمرك!».

توتر فك ديميتري: «كان هذا وهماً، أليس كذلك؟ حتى أننا لم نعجب ببعضنا البعض حين تعارفنا لأول مرة».

- لعلكما لم تعجبا ببعضكما البعض، لكن الشرر تفجرّ بينكما بكل تأكيد. كنت واثقاً تماماً حين دخلت المعرض من أنها تحاول إغراقي للشراء.

- هممم.

لم يشأ ديميتري أن يتذكر ما جرى، لكنه لم يستطع أن يمنع تدفق الذكريات. تذكر ما شعر به حين وجد أباه يناقش الفنون مع فتاة بدت بسن تلميذة مدرسة، فكيف يمكن أن تكون حاصلة على شهادة في الفنون؟

وشعر بالغيظ، لكنه سرعان ما أدرك أن غيظه موجه نحو أبيه بقدر ما هو موجه نحو أي شخص آخر.

هل كان غيوراً؟ نعم إذ استاء من فكرة أن يكون الرجل العجوز قد وجد لنفسه مثل هذه الرفيقة الشابة المثيرة للغاية. وعندما اقترح ليو أن توصل جين التمثال البرونزي الذي اختاره إلى فندقه بنفسها، تدخل ديميتري بسرعة وعرض أن يوصل هو التمثال بدلاً منها. قال إنه سيمّر بالمعرض مرة أخرى قبل أن يغادر إنكلترا وسيسره أن يوصل ذلك التمثال شخصياً.

احتجت جين طبعاً مشيرة إلى أن ايصال التحفة لا يزعجها. وفي النهاية، اتخذ أبوه القرار وهو يبتسم بشيء من الغرور فكان أن زار ديميتري المعرض بعد أيام قليلة ليأخذ التمثال.

كان المعرض على وشك الإغلاق، فقد أرخيت الستائر الطويلة. وعندما فتح الباب تملكه شعور بأن المكان خالٍ، لكن سرعان ما برزت جين من المكتب فتسارعت خفقات قلبه.

شرعت تقول: «لقد أقفلنا الأبواب مع الأسف».

ولما عرفته هتفت: «أهذا أنت؟».

- نعم، أنا. كنت تتوقعين قدومي كما أظن. ألم ينبهك مساعدي إلى أنني قادم؟

التمعت عيناها الخضراوان وبدا عليها التسلية: «ينبهني؟ هل أنت رجل خطر يا سيد سوفاكيس؟».

قال عابساً: «لا، أنا مجرد رجل عديم الصبر. هل التمثال جاهز؟».

تنهدت، وشعر هو بفظاظته بينما أشارت هي إلى المكتب خلفها قائلة: «إنه جاهز. وهو هناك إذا أحببت أن ترافقني لأكتب لك وصل الاستلام».

كان يتصرف بجفاء من دون أن يعلم السبب، فهي تحاول التصرف بمودة ولم يفهم ما الذي جعله يتصرف بهذه الخشونة.

كان المكتب صغيراً لا يحوي إلا خزانتين للملفات وكمبيوتر وآلة للطباعة، وكانت الطاولة مغطاة بأكياس سوداء من البلاستيك. قالت مشيرة إلى الأكياس: «آسفة لوجود هذه. لم يتيسر لي أخذ أكياس النفايات إلى خلف المبنى بعد. لِمَ لا تتفضل بالجلوس ريثما أنهي كتابة الوصل؟».

www.rewity.com
RAYAHEEN

توقف ديميتري عند الباب. بدا واضحاً أنها تعمل وهي واقفة، وهو لن يسهّل عليها المهمة إذا عاملها باستعلاء.

وعلى الفور، تقدم إلى الداخل ورفع أكياس البلاستيك تلك وسألها: «لِمَ لا تريني أين تضعين هذه الأكياس كي تتمكني من التحرك بسهولة؟».

اتسعت عيناها دهشة. وعندما ابتسمت صعق لجمالها المفاجئ. سبق وسلّم بأنها فتاة جذابة لكن الاحمرار القليل الذي صبغ وجنتيها وانفراج فمها بشفتها السفلى الممتلئة عن ابتسامة جعلاها تبدو له مذهلة. قالت: «هذا لطف كبير منك. لكن هذه الأكياس يعلوها الغبار وقد توسخ بذلتك».

قال غير مهتم ببذلته الرمادية اللون التي فصّلها أهم مصممي الأزياء: «لا تهتمي لهذا».

وصمت لحظة ثم سأل: «هل قلت خلف المبنى؟».

- نعم.

أطالت النظر إليه. ويبدو أنها رأت تصميمه الجاد فخرجت من خلف المكتب وسارت إلى الباب محتكة به قليلاً. كان احتكاكاً ضئيلاً لكنه أحس بما لم يشعر به نحو أيّ امرأة أخرى قط من قبل. سحرته رشاقتها، وأثارته رائحتها الأنثوية.

سبقته إلى الممرّ الضيق الذي يؤدي إلى خلف المبنى وفتحت الباب فرأى أكياساً أخرى مرصوصة في الخارج.

قالت وهي تتنحى عن طريقه ليستطيع التخلص من حمله: «دع الأكياس هنا فقط، وسيأخذونها في ما بعد. شكراً. أقدّر لك هذا كثيراً».

رد عليها بلغته، وعندما لم تفهم عاد يقول بالإنكليزية: «على الرحب والسعة».

انتظرته إلى أن عاد من الخارج، فأقفلت الباب بالمفتاح قائلة: «لا بد أنك قويّ جداً».

ولأول مرة، جعلته يبتسم وهو يقول ساخراً: «أنت رقيقة للغاية. لا أتلقى دوماً مديحاً كهذا».

ردّت عليه بحدة: «أنا واثقة من أنك تتلقى الكثير من المديح».

بدا أنها لم تقتنع بإنكاره وهي تسير أمامه إلى الردهة، فاتحة له مجال التحديق في ظهرها. خصر نحيف وساقان طويلتان تظهر جمالهما تنورة الثوب القصير الذي ترتديه. أما شعرها فكان منسدلاً على كتفيها بتموجات عسلية. وتملكته رغبة مفاجئة في أن يأخذه في قبضة يده ويدفن وجهه فيه.

أرغم نفسه على طرد هذه الأفكار، وأخذ يتساءل عما إذا كانت على موعد مع شخص ما هذا المساء وهل هذا هو سبب ارتدائها هذا الثوب الذي بدا واضحاً أنه لا يتناسب مع عملها؟

آخر مرة رآها فيها كانت ترتدي تنورة وبلوزة بيضاء. ورغم أنه لاحظ، حينذاك، ساقيها فهو لا يتذكر أنه رأى الكثير منهما.

انتبه من أفكاره هذه ليرى أنهما عادا إلى غرفة المكتب، وجين تفتح أدراج المكتب وهي تتمتم محدثة نفسها: «لا بد أنه هنا في مكان ما».

وقف ديميتري عند العتبة مكتفياً بمتعة النظر إليها. كانت جميلة للغاية ومليئة بالأنوثة.

ومرة أخرى، أرغم عينيه على الابتعاد عنها. ماذا حدث له؟ إن أباه ليس هنا الآن، كما أن النساء لا تنقصه في حياته. وبما أنه رجل ثري بالوراثة فقد فتح هذا أمامه الكثير من الأبواب.

لم تكن جين واعية طبعاً إلى أفكاره هذا وإلى تخيّلاته. ولحسن الحظ أنها لا تستطيع أن تقرأ أفكاره وإلا لما انحنت على المكتب بهذا

الشكل. وعادت تفتح الأدراج مرة الأخرى، واحداً بعد آخر، تقلب المحتويات بسرعة وضيق.

بدا واضحاً أنها تريد الخلاص منه بسرعة، هذا تصرف جديد عليه.

- يُفترض أن يكون هنا في مكان ما. أعطتني أولغا إياه قبل أن تغادر، بعد أن اتصل ذلك الشخص من مكتبك. أنا واثقة من أنني وضعته في... أوه!

وصرخت ألماً فدخل ديميتري بسرعة ودار حول المكتب: «ماذا فعلت؟».

رأى دماً على إصبعها... وبدون أن يفكر رفع إصبعها إلى فمه. نظرت إليه بمفلة وأدرك أن الوقت فات على أن يتجاهل معنى عمله.

قال على الفور: «آسف. ما كان لي أن أفعل هذا».

- هذا صحيح.

بدا واضحاً إلى حد مؤلم أنها لم ترحب بهذه الحميمية.

- كان غباء مني تعظيم هذا الأمر فهو مجرد جرح بسيط بقاطع الورق.

وأخذت تتفحص الجرح قبل أن تضيف: «سأضع عليه ضمادة فيشفى».

تراجع ديميتري إلى الخلف ليدعها تأخذ حقيبة يدها من خزانة الملفات، ثم راحت تبحث فيها عن ضمادة. بدت على شفتها العليا طبقة من قطرات العرق فتساءل عما إذا كانت حقاً غير مبالية به كما تريده أن يعتقد. على أيّ حال، أخذ يعنف نفسه فهو لم يأت إلى هنا ليقيم علاقة مع هذه المرأة. إنه يحاول فقط أن يحمي أباه وهذا كل ما في الأمر.

لكن هذا كذب! فقد أراد أن يراها مرة أخرى، كما اعترف عندما

ظنها تلميذة فنون. أما الآن، فقد بدت له خلابة للغاية في ملابسها الأنثوية هذه.

كانت قد وجدت ضمادة طبية فحاولت أن تضعها على إصبعها الجريح. وبعد أن اكتشفت أنه مازال يراقبها، منحته ابتسامة متوترة: «أجرح أصابعي بقاطع الورق دوماً، حتى أنني أفكر أحياناً في وضع قفاز من المطاط».

- وتخفين يديك الجميلتين؟

وهز رأسه ثم تقدم يأخذ الضمادة من يدها قائلاً بلطف: «دعيني أضعها».

وعندما انتهى سألها باسماً: «هذا أحسن. أليس كذلك؟».

نظرت إلى يديهما معاً ثم هزت كتفيها بعجز: «نعم. شكراً. والآن، إذا سمحت لي فسأحضر لك لفافتك».

حدق ديميتري في عينيها طويلاً، قبل أن تسقط يده إلى جانبه: «طبعاً، إذا كان هذا ما تريدينه».

فغرت فاها: «هذا ما تريده أنت، أليس كذلك؟».

لوى شفتيه: «ليس لديك فكرة عما أريد يا آنسة لانج».

حبست نفسها ثم استدارت مبتعدة وكأنها استيقظت من حلم فألقت حقيبتها في خزانة الملفات لتعود بسرعة إلى المكتب.

١٤ - لا أريد هذا النقاش

لكن ورغم إرادتها تقريباً، عادت عيناها تنجذبان إلى عينيه: «ما الذي تريده يا سيد سوفاكيس؟».

وأضافت بصوت يرتجف قليلاً: «إذا كنت تتطلع إلى علاقة لليلة واحدة، فعليّ أن أخبرك بأنني لا أحب العلاقات العابرة».

لم يستطع إلا أن يعجب بصراحتها رغم صرخة الدهشة التي انطلقت من بين شفتيه: «هل طلبت منك علاقة لليلة واحدة؟ العفو، لا أتذكر أنني طلبت أمراً كهذا».

احمر وجهها، فندم على غلطته. وإذا كان صادقاً فعليه أن يعترف بأنه فكّر في إغوائها. لا بل أراد ذلك. وهذا هو سبب امتعاضه من قوة ملاحظتها.

تمتمت وهي تعود بنظراتها إلى مهمتها: «وهكذا، بما أننا نفهم بعضنا البعض، يا سيد سوفاكيس...».

وعرف ديميتري لهفة لا يمكن التحكم بها لكنه لم يجب. وبعد لحظات، بدا أنها وجدت الإيصال الضائع، فهتفت بانتصار: «كنت أعلم أنني استلمته».

أما ديميتري الذي لم يكن مهتماً بالأمر على الإطلاق فقد ابتسم ساخراً: «سأحاول أن أتحكم بحماستي».

وعندما نظر إليها رأى أن احمرار وجهها ازداد. وقالت بجمود: «قد لا يهمك هذا يا سيد سوفاكيس. لكن وظيفتي تقتضي أن تكون

معاملاتي مكتملة. أنا واثقة من أن أباك لن يكون سعيداً بدون شهادة تثبت أصل هذا التمثال».

هز ديميتري كتفيه وقال: «أنا واثق من أنك محقة، يا آنسة لانغ. أبي يهتم بهذه الأمور كما تقولين... لكنني، مع الأسف، لست كذلك».

عندئذ قالت بعجز: «لماذا عرضت إذن أن تأتي لأخذه؟».

لم يستطع أن يكبح لهفته للمسها وقال معترفاً بشيء كان ينكره حتى الساعة: «لأنني أردت أن أراك».

ولامس خدها الساخن بيده، وهو يتابع: «ما أنعم هذا».

أمالت وجهها جانباً، لكنها لم تبتعد عنه وقالت: «لكنك قلت إنك لا تريد أيّ علاقة عابرة معي».

رفع ديميتري حاجبه: «ألم يكن لك صديق قط؟».

فقالت هازئة: «طبعاً كان لدي أصدقاء. أرجو ألّا تدّعي أنك تريد أن تصبح صديقاً لي!».

فقال موافقاً: «لا. أنا لم أعد أعتبر نفسي صديقاً».

- ما هذا الذي تقوله إذن؟

- هل عليّ أن أهنّىء الأمر لك؟ أحب أن أزداد معرفة بك. وإذا وجدت أننا منسجمان، فقد تتطور علاقتنا. من يعلم؟

- كنت أعلم هذا!

وابتعدت عنه قليلاً ثم واجهته هازئة: «هذا كل ما يهمك، أليس كذلك؟ لماذا لا تعترف بذلك؟».

قال بحدة وقد بان عليه الغضب: «لأن هذا ليس صحيحاً».

وتحيّر وهو يدرك أنه يعني كلامه، وتابع يقول: «يا إلهي! هل أبدو لك فاسقاً؟».

- لا أدري. لا أدري يا سيد سوفاكيس.

www.rewity.com

- بالضبط. وهكذا، وقبل أن تبدئي بإلقاء الإهانات كيفما اتفق، من الأفضل أن تمنحي نفسك فرصة لمعرفتي بشكل أفضل.

هتفت بشكل صبياني: «لا أريد أن أعرفك».

وشعر هو بتحكمه بنفسه يهتز بشكل خطر، فسألها وهو يستسلم لغريزته: «هل أنت واثقة من ذلك؟».

وأمسك بمعصمها وجذبها إليه محيطاً خصرها بذراعه ثم نظر إلى ملامحها المجفلة مضيفاً: «هل أنت واثقة حقاً؟».

مضت لحظة لم تستطع فيها تحويل نظراتها عنه ثم أخذت تقاومه حتى استطاعت أن تجعل يدها بينهما. ضغطت على صدره بإصرار وقالت: «اتركني».

- وإذا لم أفعل؟ ماذا ستفعلين؟ أنت وحدك هنا. لقد اعترفت بهذا بنفسك.

- هل تهددني يا سيد سوفاكيس؟

- لا!

وتملكه الاشمئزاز من نفسه فتركها: «أقترح أن تعطيني التمثال ثم أخرج لأن هذا ما تريدينه، كما يبدو».

- نعم.

لكنه لاحظ نبرة عدم اقتناع في صوتها أو لعله تمنى هذا... فهي لم تمنحه سبباً يجعله يعتقد أنها غيرت رأيها.

بدا الطرد الذي يحتوي على التمثال أكبر مما توقّع. وقالت له بأسف وهي ترى دهشته: «قمنا بلفّه بأشياء سميكة. هل تستطيع أن تحمله؟»

فلوى شفتيه: «لماذا تسألين؟ هل تعرضين عليّ المساعدة؟».

فترددت: «إذا شئت أن أساعدك، فقد تعودّت على حمل الرزم الثقيلة».

فقال بجفاء: «والزبائن الثقلاء أيضاً».

شبكت يديها ببعضهما البعض وحدقت فيه بانزعاج: «لقد جرحت شعورك، أليس كذلك؟».

فشتم بلغته ثم قال: «ولماذا يهمك جرح شعوري؟ لعلك لن تريني بعد الآن أبداً».

- لكنني لا أريد أن يظن أبوك أنني كنت قليلة الأدب مع ابنه.

أطلق دميتري ضحكة قصيرة: «هذا صحيح. هذا هو المهم، أليس كذلك؟ أنت خائفة من يتعامل أبي مع متجر آخر، أليس كذلك؟».

فرفعت كتفيها: «أنا مجرد موظفة هنا، يا سيد سوفاكيس».

- حسناً، لا تقلقي، لعل أبي سيصفق استحساناً، لأنه يراني.. متغطرساً للغاية.

لوت شفتيها: «وأنت كذلك فعلاً».

- تواضعك لم يدم طويلاً.

فابتسمت: «لعلك تعجبني أكثر بهذا الشكل».

- أتعنين وأنا أتصرف بسخافة؟

فحبست أنفاسها: «لا يمكنك أن تكون سخيفاً حتى إذا حاولت».

فقال: «لا؟».

- لا.

- حتى ولو أخبرتك بأنني أريد أن أعانقك في هذه اللحظة؟.

فتراجعت: «لن تفعل هذا».

هز دميتري رأسه وانحنى ليلتقط الصندوق وهو يقول: «لا. أظننا سنفترق هنا في طريقينا المنفصلين».

وانتصب واقفاً مبدياً امتعاضه لثقل الصندوق: «هل لك أن تفتحي لي الباب؟ سيارتي في الخارج».

- آه، بكل تأكيد.

وأسرعت أمامه في المعرض المعتم ثم فتحت الباب وهي تقول: «لعلك ستجد مخالفة سير على زجاج سيارتك الأمامي».

فقال بجفاء: «سأكون بخير».

وخرج من الباب ثم نزل الدرجات إلى حيث وقفت سيارة ضخمة رباعية الدفع.

- نعم. أنت على حق!

- أوه...

وتبعته جين ودارت حول السيارة لتسحب المخالفة عن الزجاج الأمامي، ثم نظرت إليها بفروغ صبر: «سأطلب من أولغا أن تحل المسألة».

كان دميتري قد فتح صندوق السيارة ووضع الصندوق الثقيل داخلها. لكنه التفت إليها وقال: «إنسي هذا، سأفعل أنا ذلك».

- لكنك لا تستطيع...

- أتراهنين؟

عضت شفتها: «ما كان لهذا أن يحدث لو لم تساعدني على نقل تلك الأكياس إلى الخارج ثم... جرحت إصبعي...».

وهزت رأسها عندما صفق باب الصندوق ودار حول السيارة إلى حيث وقفت. قالت: «إنه ذنبي أنا حقاً».

- هذا غير مهم.

خطف المخالفة من يدها ثم ألقى بها في أقرب سلة مهملات: «لقد انتهى الأمر».

نظرت إليه بحيرة: «هل هذا ما تفعله عادة بالمخالفات؟».

- لا. فقط بتلك التي أحصل عليها بسبب مساعدتي للبنات الجميلات. لا تقلقي بهذا الشأن.

ضحكت وقالت: «أنت... أنت...».

قال وهو يطمئن إلى أن صندوق السيارة مقفل: «سيء؟».

ثم عاد إليها مضيفاً: «نعم. أعرف هذا».

فقالت باحتجاج: «لم أكن أنوي أن أقول ذلك. أنا لا أظنك سيئاً».

- لكنني لا أعجبك.

بدا الاضطراب على ملامحها فأدرك أنها ليست من الثقة بقدر ما تريد أن تبدو، وأن من السهل أن يستغلها. كان الشارع الذي يقوم فيه المعرض هادئاً ظليلاً.

لكن ذلك لن يحدث. لن يدمّر التفاهم الهش الذي بدا أنه ينمو بينهما. وقد ذهل تماماً عندما وضعت يديها فجأة على كتفيه وقالت بصوت أجش: «أنا لم أقل إنك لم تعجبني».

صدمه تصرفها ومنعه الذهول من أن يبدي أي ردة فعل.

وأدرك أنها هي أيضاً صُدمت، وبدا على وجهها الذعر..

ورغم أنها لم تتراجع وتلتجىء إلى المعرض، إلا أنه علم أن المسألة مسألة وقت قبل أن تفعل هذا.

بحثت عيناها عن عينيه باستنكار صامت لما حدث للتوّ كما رفع هو حاجبيه متسائلاً. ثم قال متكاسلاً: «أظنني قمت بعمل صائب في النهاية».

أخذت نفساً مرتجفاً: «لا أدري ماذا حدث لي».

وأدرك دميتري أن رجلاً أكثر رقة منه كان ليعذرها ويتسامح معها. لكنه لن يفعل ذلك بعد أن أمضى الساعة الأخيرة في حالة من الإثارة ما جعل عملها البريء هذا بمثابة القشة الأخيرة... هل تظنه مصنوعاً من ثلج؟ ومال نحوها ووضع يديه على خصرها وجذبها إليه: «أنا أدري، دعيني أريك».

لم يدع لها وقتاً للاحتجاج. عانقها كما يرغب في أن يعانقها منذ

دخل المعرض.

في البداية، حاولت التحكم في نفسها لكنها لم تستطع أن تتماسك أكثر. فتأوهت ثم أذعنت، مستسلمة لعناقه.

وتذكر دميتري عابساً أن تلك كانت بداية علاقتهما، وسرعان ما اكتشف أنها ساذجة إلى حد ميئوس منه، وعديمة الخبرة.

وكلما ودعها كان يتحرّق شوقاً حتى يراها مرة أخرى. لكنهما واجها معوّقات، فأمها وأمه لم توافقا على علاقتهما. وقد تملك أمه الذعر حين أخبرها أنه وقع في غرام فتاة إنكليزية، أما والدة جين فلم تثق به منذ البداية.

لكنهما تغلبا على الاعتراضات كلها. ورغم أنه أدرك أن جين ارتبكت للسرعة التي جعلها بها زوجته، إلاّ أنّ حبها البالغ له منعها من الاهتمام وقد أمضيا شهر العسل في جزر الكاريبي. وتملكه الألم لهذه الذكريات. ذكريات الأيام الطويلة والليالي الأطول في جزيرتهما تلك. ويالها من ذكريات! كم كان يحبها، وحبس أنفاسه. وإلى أي حد ما زال يحبها!

- هل أنت بخير يا دميتري؟

كان المتكلم أبوه. وأدرك دميتري أنه يحدق في الظلمة منذ مدة لا يعلمها إلا الله، وأنه تاه في أفكار نسيها، وأن أباه ينتظر ليأخذ جوابه.

قال وهو يتحوّل عن النافذة ويسكب لنفسه كأساً آخر: «آسف. كنت أفكر، وهذا كل شيء».

- تفكر في جين؟

حدّق دميتري في الرجل العجوز بعينين غاضبتين: «وهل بإمكاني أن أفكر في شيء آخر؟».

- لا أدري، هل بإمكانك ذلك؟

فأجاب عابساً: «دع ذلك يا أبي، فأنا لا أريد هذا النقاش».

- لماذا؟ لأنك تظنني لا استطيع احتمال الحقيقة؟ كن صادقاً، يادميتري، لماذا وافقت على أن تطلّق جين وتتزوج من إريادن؟ هل لأنك ظننتني متلهفاً إلى حفيد؟

متنهد دميتري: «أبي..».

- أجبني... تباً لذلك!

- لا بأس.

وزفر مرهقاً: «لا بأس... أحد الأسباب».

- أمك طلبت منك ذلك، كما أظن. تماماً كما أخبرتني أنك وإريادن وقعتما في الحب. كما أنه ليس عليّ أن أعتبر أي طفل ينجبه ستيفن وفيليب من لحمي ودمي.

- ستيفن وفيليب؟

- نعم.

وهز ليو رأسه: «اسمع يا دميتري. لدينا، أنا وأنت، ما نقوله لبعضنا البعض، سواء أعجب ذلك أمك أم لا».

١٥ - إنها الحقيقة!

كانت جين وحدها في المعرض عندما دخل أليكس هانتر. مضت لحظة ظنته فيها ديميتري، فانتفض قلبها إذ لم تسمع منه خبراً منذ عودتها من اليونان منذ ستة أسابيع. ورغم أنها حدثت نفسها بأن هذا هو المتوقع، إلّا أنها لم تستطع أن تحول دون أن تتمنى لو يتصل بها. كما أنها حاولت أن تتصل بالفيلا في كاليثي، لتطمئن إلى أنه بخير بعد انفجار السفينة، لكنها لم تستطع قط أن تتجاوز أنجلينا. وكانت واثقة من أن والدة ديميتري أمرت انجلينا بألّا تحوّل اتصالاتها إلى زوجها. وبعد محاولتين من دون جواب، فقدت جين الأمل. ولم تعد الصحف تذكر الموضوع، فلم يعد أمامها سوى أن تفترض أن ديميتري وأخاه عادا سالمين.

لم تر أليكس منذ عودتها، وهذا بقرار منها. ورغم أنها قالت له إنها لا تريد أن تراه مرة أخرى، لم يستسلم.

كان قد اتهمها بأنها خدعته لأنها جعلته يعتقد أن لديهما مستقبلاً معاً، بينما كل ما سعت إليه في الحقيقة هو أن تثير غيرة زوجها، وهذه التهمة لم تكن صحيحة أبداً. لكن جين قررت ألّا تبرر تصرفاتها له، وأن تتركه يعتقد ما يشاء.

إذا ما توقعت منه أن يتوقف عن زيارتها، فقد خاب أملها. وهو هنا الآن ومن دون موعد سابق مع أولغا. في الواقع، كانت مخدومتها قد غادرت منذ أكثر من ساعة، وهي تشكو من صداع.

وفي هذه اللحظة، تمنت لو أنها أخذت بنصيحة أولغا وأقفلت المعرض باكراً.

فقد قالت: «أنت تجهدين نفسك في العمل بالنسبة إلى امرأة في وضعك».

فمنذ علمت أن مساعدتها حامل، أخذت ترعاها بشكل رائع رغم أنها لم توافق على عدم إخبار الأب بالحمل. وكانت جين تنوي إقفال المعرض، لكن عينيها وقعتا على صناديق الشحن التي وصلت ذلك الصباح. فقررت قضاء ساعة أخرى مع اللوحات الزيتية قبل إقفال المعرض.

وها هي الآن تتمنى لو أنها لم تفعل. لم تكن خائفة من أليكس، لكنها تفضل أن تلقاه في مكان عام. يالهت أولغا هنا! وسرّها أنها تحمل لوح تثبيت الأوراق فهو يغطي انتفاخ بطنها بحيث لا يراه.

أغضبها أن تسمح له بأن يرهبها بهذه الطريقة، وكان هذا بادياً في حديثها: «مرحباً يا اليكس. إذا جئت لترى أولغا، فقد خرجت منذ دقائق».

هز اليكس كتفيه من دون اكتراث. كان رجلاً طويلاً بعض الشيء، لكنه نحيل بارز العظام، ما جعل بنيته لا تتلاءم مع سترته الكحلية. وقال: «هذا غير مهم. لا أريد أن أرى أولغا».

فكبتت آهة: «آه، يا أليكس...».

- لم أنس أنك أخبرتني بأنك لا تريدين رؤيتي مرة أخرى...

- أنا لم أقل هذا بالضبط. أظن فقط أن علينا ألا نخرج سوية. كنت أظننا صديقين، لكن يبدو أنك أردت شيئاً آخر.

قال على الفور: «أنت أيضاً، وذلك قبل أن تذهبي لرؤية زوجك السابق».

فتنهدت جين وقالت تصحح له كلامه من دون أن تعلم بالضبط لما

تزعج نفسها بذلك: «لم يصبح زوجي السابق بعد»

ألا تتلقى أيّ خبر من محامي دميتري لا يعني أن اجراءات الطلاق توقفت. وتابعت تقول: «اسمع يا أليكس، علاقتي بديميتري لم تتغير».

نظر إليها غير مصدق: «ولمَ لا نستمر في رؤية بعضنا البعض إذن؟ ظننتك تكنين لي المودة فقد أمضَينا أوقاتاً جميلة مع بعضنا».

- هذا صحيح.

لم تكن تريد هذا النقاش كله فشبكت ذراعيها على صدرها وقالت: «الأمر فقط... حسناً... ألا تظن أنك لن تتمكن من الإدعاء بأننا سنبقى دوماً صديقين؟».

فقال عابساً: «لم يكن هذا يهمك من قبل».

قالت بتعاسة: «كان ذلك قبل أن تعبّر لي عن شعورك نحوي».

وكان اللوح يخزها في بطنها فقوّمته قبل أن تتابع: «لم أكن أنوي قط أن أؤلمك يا أليكس. صدقني».

- لكنك فعلت ذلك.

وتحرك بقلق، ثم، ومن دون إنذار، اختطف اللوح من قبضتيها وهو يهتف: «بالله عليك، ألا يمكنك أن تضعي من يدك هذا الشيء اللعين أثناء حديثنا؟».

وألقى باللوح إلى الأرض فانزلق بعيداً على الأرض الخشبية المصقولة. أخذ ينظر إليه وكذلك فعلت جين إنما لسببين مختلفين. بدا أليكس وكأنه يحاول تمالك نفسه، بينما شعرت جين بأنها مكشوفة تماماً الآن.

كانت ترتدي سروالاً من الكتان وبلوزة وردية تتسع تدريجياً حتى خصرها. ولطالما كانت جين نحيفة ما جعل انتفاخ بطنها يبدو جلياً الآن.

وبدا أنّ أليكس لاحظ ذلك لأن عينيه تسمرتا على بطنها ما جعلها

تشعر بالارتباك. كان هذا آخر ما تحتاجه وتمنت لو يخرج ويتركها وحدها.

سألها أخيراً بحيرة: «هل أنت حامل؟».

ثم أضاف بشيء من المرارة: «أراهن على أن دميتري يعلم بالأمر».

- إنه لا يعلم.

وتملكها الغضب، وسارت إلى اللوح تلتقطه: «على أيّ حال، هذا أمر لا يخصك يا أليكس، ومن الأفضل أن تذهب».

فقطب حاجبيه: «ألم تخبري دميتري أنه سيصبح أباً؟».

- هل قلت إن هذا الطفل ابن دميتري؟

- لكنني افترضت فقط...

- أنت تفترض أموراً كثيرة. لمَ لا تفعل ما طلبته منك وتخرج؟

لم يتحرك وسألها: «ماذا ستفعلين بهذا الشأن؟».

لم تصدق وقاحته: «عفواً؟ أظن أنّ هذا من شأني، أليس كذلك؟».

- حسناً، هل ستتزوجين والد الطفل؟ إنه ابن دميتري، أليس كذلك؟

فشهقت: «ليس لديك الحق في أن تتدخل».

- أفترض أنك لن تتزوجي مرة أخرى.

- أنا متزوجة. وكما قلت من قبل، أنت تفترض أموراً كثيرة. والآن، أرجوك، أريد أن أقفل المعرض وأريدك أن تخرج.

اقترب منها قليلاً وقال: «لا تتصرفي بهذا الشكل، يا جين. أنا أريد أن أساعدك وحسب.. فأمرك يهمني وسأبقى كذلك حتى لو خنتني مع رجل آخر».

- أنا لم أخنك.

وتمنت أن يدخل أحد ليقطع عليهما هذا الحديث: «أليكس، هذا

غباء. أنا آسفة إذا ظننت أني خدعتك. لكن هذا الحديث لن يغيّر واقع الأمور».

لم يعد يبعد عنها الآن سوى خطوات: «يمكنك أن تتزوجيني بدلاً منه. وأظن أنّ بإمكاني أن أكون أباً جيداً. الأطفال بحاجة إلى آباء، ألا توافقينني؟».

فتملكها الذعر: «لكنني لا أحبك، يا أليكس».

- أنا أعرف هذا.

- إذن...

- أنا أحبك.

- لا..

- لطالما أحببتك منذ أول مرة جئت فيها إلى هنا لأراجع حسابات السيدة إيفانوفيتش، وهي تعرف شعوري. لقد أخبرتني كم كان زوجك نذلاً معك. قالت إن عليّ أن أتحلى بالصبر فقط وأنك، عاجلاً أم آجلاً، ستدركين أنني لست مثله.

آه، إنها أولغا!

أغمضت جين عينيها لحظة، متمنية لو أن مخدومتها هنا. يبدو أن الحديث الذي ذكره اليكس حدث منذ فترة. ليت أولغا هنا! وعادت تقول: «أنا آسفة.. أقدّر لك هذه المجاملة، يا أليكس.. صدقني. لكنني لا أستطيع أن أتزوجك».

- لماذا لا تستطيعين؟

- أنت تعرف لماذا.

هز رأسه: «لا. لا أظنك فكرت في الأمر بما يكفي. أعرف أنك الآن لا تحبينني. ولكن امنحيني فرصة، سيكون أمامنا سنوات لكي..».

قالت بحزم: «لا، يا إليكس».

لكنه اقترب منها أكثر ليضع يديه النحيلتين على كتفيها.

- هيا، يا جين. امنحيني فرصة، ودعيني أريك كم ستكون الأمور حسنة.

- كلا، يا أليكس.

وشعرت بالخوف. بدا واضحاً أنها لا تؤثر فيه ومهما قالت فهو لن يصغي إليها.

قال وهو يمرّر بيديه على ذراعيها ما جعل جسمها يقشعر: «لا أظن انّ وضعك الحالي يعجبك. سواء كنت مطلقة أم عزباء، ما من رجال كثر يقبلون بامرأة مع طفل من رجل آخر».

وأحنى رأسه مردفاً: «دعيني أهتم بك، يا جين. أنت تعلمين أنك تريدين ذلك».

- كلا، لا أريد يا أليكس. أرجوك..

وضغطت يديها على صدره تدفعه، وسقط اللوح بينهما: «عليك أن تدعني أذهب!».

رد عليها بحدة وهو يزداد اقتراباً منها ليسمّرها على لوحة زيتية من عهد آخر قياصرة روسيا: «ليس عليّ أن أفعل شيئاً».

جرح إطار اللوحة الذهبي ظهرها فيما تابع يقول: «يمكنني أن أفعل ما أريد. من ذا الذي يمنعني؟».

- أليكس... بالله عليك!

وبدأت تفقد الأمل. إطار اللوحة الذي يجرُح ظهرها، واللوح الذي ينقر كاحلها جعلاها عاجزة بشكل لم تعرفه من قبل. وخطرت لها فكرة فرفعت قدمها ثم ركلت اللوح بشدة نحو ساق أليكس.

شتم واسترخت قبضتاه لحظة فاغتنمت الفرصة ودفعته بعيداً عنها، ثم ركضت نحو الباب لاهثة. الصوت المميّز للباب وهو يُفتح جعلها تقف. كان الوقت عصراً وأشعة الشمس التي تدخل من الستائر تركت وجه الزائر في الظل. كل ما كانت جين واثقة منه هو أنه لامرأة.

www.rewity.com RAHEEN

أول ما خطر لها هو أن أولغا عادت.

- الحمد لله أنك هنا.

وتقدّمت منها وهي تترنح: «أرجوك! اجعلي أليكس يتركني وشأني».

- أليكس؟

في البداية لم يكن الصوت مألوفاً. وأغمضت جين عينيها لحظة، آملة ألّا تكون قد جعلت من نفسها موضع سخرية أحد زبائن أولغا الهامين، ثم عادت ففتحت عينيها بعد أن أدركت أنها تعرف تلك اللكنة.. لانت أدونيدس من بين كل الناس وقفت هناك تحدق فيها. بدت نحيفة ورشيقة في ثوب عاجي اللون.

* * *

كان منزل أسرة سوفاكيس في «بلومبري» أنيقاً من العهد الجورجي، وهو يطل على «ساحة راسل». في هذا المنزل طلب منها أن تتزوجه كما تذكرت وقلبها يخفق بشدة. كم كانا سعيدين في تلك الأيام. كيف سمحت لغيرتها بأن تدّمر سعادتهما تلك؟

لماذا لم تصدقه؟

طلبت من سائق سيارة الأجرة أن ينزلها بعيداً وقطعت المسافة الباقية مشياً على قدميها إلى البيت الذي تتذكره جيداً. ثمة درجات تؤدي إلى الباب الأمامي الذي يعلوه ضوء ما يدل على أنّ شخصاً ما في المنزل. لعلها مدبرة المنزل، أو حتى ثيو فازيليس مساعد ديميتري. وكانت لانت قد أخبرتها بأنها جاءت إلى إنكلترا بصحبة الرجلين. علاقتها مع مساعد ديميتري هي سبب مرافقتها لهما في هذه الرحلة التي كانت في البداية رحلة عمل.

كان الظلام قد أسدل ستاره حين صعدت الدرجات وقرعت الجرس. عليها أن تتأكد من أن ديميتري يريد أن يراها مرة أخرى. لن

تسمح لها كرامتها بأن تستغل حملها للتأثير فيه.

شعرت وكأنها أمضت دهوراً تنتظر. ماذا لو رفض أن يتحدث إليها؟ ماذا لو أن ما قالته لانت عن أنه وإريادن افترقا نهائياً لم يكن صحيحاً؟

هل كانت تكذب؟

لكنها كذبت من قبل بكل تأكيد.

وانفتح الباب لتبدو امرأة جذابة ممتلئة الجسم، في أواخر الثلاثينات من العمر. أول ما تبادر إلى ذهن جين هو أن هذه المرأة هي سبب افتراق ديميتري وإريادن.

- هل يمكنني أن أساعدك؟

كان صوت المرأة مهذباً فأخذت جين تنفساً عميقاً وسألت: «هل السيد سوفاكيس موجود؟».

قطبت المرأة جبينها: «هل يتوقع حضورك؟ يا ... يا سيدة ...»

أجابت جين بسرعة: «سوفاكيس».

رأت عيني المرأة تتسعان دهشة فعادت تقول: «أنا السيدة سوفاكيس، زوجة ديميتري».

خفقت المرأة بأهدابها ثم نظرت خلفها متوترة وتمتمت: «آسفة. لم يخبرني السيد سوفاكيس أنك ستأتين إلى هنا».

تمنت جين لو أن لديها الشجاعة لتدخل إلى البيت لكن سنوات خمس مرت منذ كانت هي وديميتري يعيشان معاً، وهذه المرأة لا تعرفها. وقالت: «إنه لا يتوقع قدومي».

وفي محاولة لإثبات شخصيتها، أضافت: «أين السيدة غراي؟».

بدت المرأة أقل تشكيكاً الآن، فسألتها: «السيد غراي؟ هل تعرفين السيدة غراي؟».

فأومأت جين: «مدبرة منزل السيد سوفاكيس. هل ما زالت

هنا؟».

- تقاعدت السيدة غراي منذ ثلاث سنوات فحللت أنا مكانها. اسمي السيدة ساور.

- هكذا إذن!

شعرت جين بشيء من الاطمئنان عندما قاطعهما صوت رجل من الطابق العلوي: «من هذا يا فريدا. إن كان ثيو فأخبريه بأن يدخل».

فقالت مديرة المنزل: «إنه ليس السيد فاسيليس يا سيد سوفاكيس».

وتوقّف قلب جين عن الخفقان عندما سمعت صوت خطوات رجل ينزل السلم.

- حسناً، أنت تعلمين أنني خارج.

كان دميتري يقول هذا عندما وصل إلى أسفل السلم، قبل أن يتوجه إلى الباب. ورأى جين فساد صمت يصمّ الآذان.

- مرحباً يا دميتري. هل يمكنني الدخول؟

تبادل دميتري نظرة مع مديرة منزله: «هذه زوجتي، يا فريدا».

ومن دون أن ينظر في عيني جين، تراجع إلى الخلف ثم أشار إليها بالدخول: «تفضلي. أنا خارج، ولكن بإمكاني أن أمنحك عدة دقائق. إن كان الأمر مستعجلاً».

قالت جين وهي تبتسم لمديرة المنزل: «إنه كذلك».

أخبرتها لانت أن ليو سوفاكيس مازال حياً لكنه ضعيف البنية. وتصورت جين أن أمله خاب لانتهاء علاقة ابنه مع إريادن. لم يتكلم دميتري، فلم يدهشها هذا. لا بد أنه يتساءل عن سبب مجيئها إلى هنا فهو لم يحاول أن يراها أثناء زيارته هذه.

قال لمديرة المنزل: «سنصعد إلى غرفة الجلوس في الطابق الأعلى».

وبعد لحظة تردد، سأل جين: «أتريدين قهوة؟».

- أفضّل الشاي إذا لم يكن لديك مانع.

قال دميتري لمديرة المنزل: «شاي لشخص واحد، يا فريدا».

وأشار إلى السلم مخاطباً جين: «أنت تعرفين مكان غرفة الجلوس، طبعاً».

نظرت جين خلفها وهي تصعد السلم وسألته محاولة أن تلطّف مزاجه.: «ألا..ألا تسكن في الطابق السفلي هذه الأيام؟».

أجاب بفتور: «فريدا وزوجها اتخذا من الطابق السفلي مسكناً لهما. أنا لم أستعمله منذ سنوات».

التفتت إلى دميتري فلاحظت أنه يبدو أنحف مما تذكره. ورغم أن سرواله الأسود وقميصه الأبيض يناسبانه تماماً، ألا أنه بدا أنحف، كما ازداد الشعر الأبيض في شعره الأسود الجميل، ما أدهشها!

- إذن، ما سبب هذه الزيارة غير المتوقعة؟

قاومت جين لهفتها لأن تحيط خصره بذراعيها، ثم سألته لأن هذا أسهل من الخوض مباشرة في السبب الحقيقي لزيارتها: «كيف حال أبيك؟».

- شكراً لسؤالك عنه... لكن كان بإمكانك أن تتصلي لتعرفي ذلك بنفسك.

كانت تعلم أن هذا غير ممكن، لكنها لم تشأ أن تناقش في هذا الموضوع الآن. وبدلاً من ذلك اظهرت قليلاً من مشاعرها: «آه، دميتري!».

- أرجوك.

النظرة التي وجهها إليها كانت باردة كالثلج وتابع يقول: «لا يمكنك أن تظهري بهذا الشكل المفاجيء وتتوقعين لجنة ترحيب، خاصة بعد أن غادرت كاليثي حالما أدرت أنا ظهري».

فتحت فمها ذاهلة: «لم تجرِ الأمور بهذا الشكل».

- لا؟ كنت تعلمين أنني وستيفن قصدنا السفينة «أرتميس». ألم

يخطر في بالك أنّ الوضع قد يكون خطراً؟ أم أنك لا تهتمين».

وأطلق ضحكة قصيرة.

- بل أهتم طبعاً.

- أحقاً؟

فهتفت: «نعم، حقاً. لكنك تعلم أنه ما كان بإمكاني أن أبقى هناك إلى ما لا نهاية».

وكرهت أن تذكر دور أمه في رحيلها.

وصمتت لحظة ثم أضافت: «اتصلت بالفيلا بعد وصولي إلى إنكلترا. لكن... حسناً... لم أستطع التحدث إلى أحد».

لوى ديمتري شفتيه: «هل تتوقعين مني أن أصدق هذا؟».

- إنها الحقيقة!

- لماذا إذن لم تستطيعي التحدّث إلينا؟ هل نسيت الرقم؟

- طبعاً لا. لعل أنجلينا لم تفهم ما أريده.

بدا واضحاً أن ديمتري لا يصدقها. وفي محاولة أخرى لشرح سلوكها، قالت بتعاسة: «كانت إريادن تكرهني وأنت تعرف هذا».

قطب حاجبيه: «هل قالت إريادن ما جعلك ترحلين؟».

- لا... لا.

- هذا ما ظننته.

- ديمتري... أرجوك...

- لِمَ الرجاء؟ ماذا تريدين، يا جين؟ هل أنت قلقة لأنني تركت قضية الطلاق في الأسابيع الأخيرة؟.

وهبطت كتفاه: «عليك أن تفهمي، لدي أمور أخرى تشغلني».

- أعرف هذا.

وعضت شفتها السفلى. ولأنها أرادت أن تعلم إن كانت لانت تقول الحقيقة، سألته: «هل مازلت ترى إريادن؟».

استدار نحوها بعنف، وسألها بخشونة: «لِمَ يعنيك هذا؟ أنت لا تهتمين بما يحدث لي».

- بل أهتم! أنا لم أتوقف قط عن الاهتمام بأمرك.

لم تستطع أن تدعه يظن ذلك، حتى لو لم يحبها.

فقال بمرارة: «لديك إذن طريقة لعينة للغاية في إظهار ذلك. لِمَ لا تخبريني لماذا هذا كله لينتهي هذا اللقاء؟».

ونظر إلى ساعته قبل أن يضيف: «لدي موعد على العشاء بعد أربعين دقيقة بالضبط».

- جاءت لانت لرؤيتي.

لم تكن تنوي أن تقول ذلك مباشرة لكن الأوان فات الآن، إذ أخذ يحدّق فيها بعينين قاسيتين غير مصدقتين. وتساءلت بألم إن كان اعتراف الفتاة اليونانية قد جاء متأخراً.

وتمتم أخيراً: «هذا غير ممكن».

- إنها الحقيقة.

وحدقت فيه بيأس: «إنها... جاءت إلى المعرض. وقد أخبرتني أنك وإريادن افترقتما».

فقال ببرودة: «أنا وإريادن افترقنا منذ جئت إلى شقتك قبل ثلاثة أشهر. ولا يمكن أن يكون هذا خبراً جديداً بالنسبة إليك».

تشتت ذهنها: «لا أدري ما تعنيه. عندما وصلت إلى كاليتي جعلتني إريادن أظن..».

قال بمرارة: «أننا على علاقة حميمة وأنت صدقتها طبعاً».

وبسط ذراعيه بحركة تمثيلية وقال بازدراء: «زوجتي التي ما زالت تظنني أنام مع أي امرأة تقبل بذلك».

وصمت لحظة قبل أن يردف: «وتقولين إنك تهتمين لأمري؟ سامحيني إذا قلت إن هذا محزن للغاية ومثير للمشاعر».

www.rewity.com KAHEENA

١٦ - أجمل ما في الحياة

وصول مدبرة المنزل حاملة الشاي قاطع حديثهما.

جلست جين إلى الطاولة التي وضعت المرأة عليها صينية الشاي قبل أن تخرج مغلقة الباب خلفها.

ثم قال متوتراً: «أظن أن لانت أخبرتك بأنها جاءت إلى إنكلترا معنا، أنا وثيو؟».

- نعم.

. إنها ضربة أخرى ضدها. هل جاءت إلى هنا لتحاسبه مرة أخرى على أمر لم يحدث أبداً؟ وتملكه الوجوم. لا يمكنه التهرب من أنها تبدو جميلة هذا المساء. بدت متألقة بشكل ما، ينضح منها دفء جعله يلعن الفوضى التي قوّضت حياتهما. لم تتوقف رغبته فيها قط ولم يتوقف عن حبها قط، حتى عندما حدث نفسه بأنه يكرهها. كان شعرها أطول من المعتاد فيما التوت خصلة منه بإغراء على سترتها الصوفية. وتمنى لو تخلع تلك السترة.

لاحظت جين أن عيني ديميتري انزلقتا إلى جسدها فشعرت بحرارة نظراته كالنار على جسدها. لطالما كان له هذا التأثير فيها. وهذه الليلة لم يكن تأثيره أقل خاصة وأنها أدركت أنه لم يكذب عليها قط... وأدركت مدى حماقتها وغبائها.

قال فجأة: «هل قلت إن لانت جاءت إلى المعرض؟».

فأومأت مرة أخرى: «هذا صحيح».

وبدلاً من أن تحدّثه عن غاية تلك الزيارة، راحت تشرح له ما حدث، فقالت بحرارة: «كان هذا من حسن حظي، لأن أليكس... اليكس هانتر كان... مزعجاً للغاية».

ضاقت عينا ديميتري: «مزعجاً؟ كيف؟».

وتملكها الارتياح لأنه تحدّث بلهجة مهذبة معها ما جعلها تتابع: «بالطريقة المعتادة. إنه... حسناً، لم يتقبّل حقيقة أنني لا أريد أن أراه مرة أخرى. ولو أن لانت لم تأت إلى المعرض حينذاك...».

- أتقولين إن هذا الرجل... هذا ال... ضايقك؟

شتم ديميتري وهو يهب واقفاً: «سأعثر عليه وأقتله. كيف يجرؤ على وضع يده على زوجتي؟ سأجعله يتمنى لو أنه لم يولد قط!».

لم تستطع جين أن تبقى جامدة وهو ينحني عليها فهمست وهي تنهض لتواجهه: «هل مازلت زوجتك يا ديميتري؟».

نظر إليها بعينين غاضبتين، وتمتم بخشونة، متغلباً على الرغبة التي تملكته ليلمسها: «حالياً، فقط. على أيّ حال، هذا غير مهم. هذا الرجل، هانتر، سيتعلم أن ما من أحد يتهجم على شرف أسرتي وينجو من العقاب».

تنهدت: «لم يتهجم عليّ يا ديميتري. لقد أخافني، وهذا كل ما في الأمر».

شتم مرة أخرى وهو يدس أصابعه القلقة في شعره: «إذن، هذه المرة عليّ أن أكون ممتناً لتدخّل لانت، أليس كذلك؟».

- ربما.

وابتلعت ريقها ثم أشارت إلى الأريكة: «هل يمكننا أن نجلس مرة أخرى؟ لدي ما أريد أن أخبرك به».

- أتظنين أن الوقوف يجردني من قوتي؟

- لا...

- لأنني أحذرك يا جين، إذا جئت إلى هنا لتذيقيني مزيداً من سموم لانت...

- لا.

ووضعت على ذراعه يداً متوترة فشعرت بعضلاته تنكمش تحت أصابعها: «أرجوك يا ديميتري عليك أن تصغي إليّ».

نظر إلى اليد الموضوعة على ذراعه، وتساءل كيف يمكن لهذه اللمسة المتوترة أن تحدث في جسده رد الفعل هذا... وتثير فيه الرغبة في مبادلتها اللمس... يا إلهي! كيف يتمالك نفسه ليتمكّن من حضور عشاء العمل ذاك بعد أقل من نصف ساعة ، بينما تفكيره منحصر في ضمها إلى صدره؟

وأخيراً قال من بين أسنانه المطبقة: «لا بأس، تكلمي».

سحبت يدها من يده ثم جلست على الأريكة مبتعدة عنه مرة أخرى. جلس بجانبها على الأريكة، كابحاً لهفته لأن يعانقها. وتملكه الإغراء بأن يذكّرها بكل ما كان بينهما يوماً ما.

أما هي، فكانت واعية بعنف إلى أنه يراقبها وإلى أن نظراته تحرقها. وسمحت لنفسها بأن تمرر يداً مطمئنة على بطنها قبل أن تتابع. لقد زارت الطبيب منذ أيام برفقة أمها التي ساعدتها بشكل رائع. لكن جين تمنت لو أن ديميتري موجود. فهذا طفله بقدر ما هو طفلها. ثم ألا يستحق أن يعلم أنه سيصبح أباً؟

لكنها، حينذاك، كانت تعتقد أنه وإريادن سيتزوجان ويبنيان مستقبلهما، فكيف تدّمر حياته للمرة الثانية؟

- حسناً؟

كان قد بدأ صبره يفرغ. ومالت إلى الأمام وأخذت جرعة كبيرة من الشاي ثم تمالكت نفسها وقالت: «أظنك تتساءل عما لديّ لأقوله».

استرخى فمه وقال متهكماً: «أتظنين ذلك؟ ظننتك ستعلميني أنك لا تستطعين احتمال علاقة دائمة معي. لكنني أظن ذلك سيكون...».

فتنهدت: «لا تتهكم!».

فأظلم وجهه وقال بحدة: «أخبريني إذن بما تريدينه، أم أنها لعبة أخرى للاستفزاز؟».

- إنها ليست لعبة. لم أخبرك بعد لما جاءت لانت لتراني.

تصلّب جسمه: «أظنها جاءت لتخبرك أنني وإريادن افترقنا».

فتوترت شفتاها: «هل عليك أن تكون خشناً بهذا الشكل؟».

- يا إلهي! أنت تتحدثين كأمي تماماً، لكنها جعلتك تشككين بما أخبرتك به إريادن، اليس كذلك؟

هزت جين رأسها: «نعم..».

- هذا شيء مثير للاهتمام، كما أظن.

فقالت تدافع عن نفسها: «لكنك قلت لي بوضوح إنك كنت على علاقة بإريادن».

فتأوه: «أنا لست راهباً ياجين».

- أعرف هذا.

- هذا صحيح. فقد اتخذت من لانت خليلة لي بعد شهور فقط من زواجنا، أليس كذلك؟

هم بأن ينهض عن الأريكة، لكنها، وبشجاعة لم تعرفها في نفسها، مدت يدها تمسك بمعصمه. كانت ذراعه مغطاة بشعر أسود خفيف، لكنها شعرت بها تنضح حرارة. كان نبضه يخفق بقوة تحت أصابعها فقالت له بصوت أجش: «لا تذهب. أخبرتني لانت بما حدث. أعني عن طفلها... وأن يانيس هو الأب وليس أنت».

حدق فيها لحظة، ولم يكن لديها فكرة عما يفكر فيه. رأت في

نظراته الكثير من المرارة، ما جعلها تنكمش.

قال بصوت أبح: «أخبرتك لانت؟ يا الله، لماذا فعلت ذلك؟».

بللت جين شفتيها: «أنا لست واثقة تماماً. لعل لهذا علاقة بانفصالكما أنت وإريادن».

- وما الصلة بين علاقتي بإريادن ولانت؟

وبدا عليه الارتباك، فتلهفت جين إلى التخفيف عنه لكنها شعرت بأنه لن يرحب بتعاطفها معه.

قالت وهي تختار كلماتها بعناية: «أظنها أدركت أنك لن تكون سعيداً مع أي امرأة أخرى..».

سألها بعنف: «أتعنين سواك؟».

وهذه المرة لم تسنح لها فرصة لمنعه عندما نزع معصمه منها ووقف ثم سار إلى النافذة التي تطل على الساحة: «يا إلهي! ويُفترض بي أن أكون شاكراً لهذا؟».

والتفت إليها والازدراء في عينيه: «تباً لك يا جين. لا أريد شفقتك!».

- أنا لا أشفق عليك، يا ديميتري.

لعلها تشفق على نفسها. ووقفت وتقدمت نحوه، لكن نظراته طعنتها كالسكين فوقفت غير واثقة: «ارجوك، عليك أن تصغي إليّ. أنا أعرف أنني كنت حمقاء..».

- هذا هو الصواب.

- لكن ماذا كان يُفترض أن أفعل.

لوى شفتيه: «كان عليك أن تصدقيني».

- نعم، نعم. كان ينبغي هذا!

وهزّت رأسها مضيفة: «ما أسهل هذا، أليس كذلك؟ كان عليّ أن أصدقك. كنت سأصدقك لولا أن الشخص الآخر المتورط في الأمر

أصرّ على أنك المذنب».

- كانت لانت تكذب.

فرفعت رأسها: «نعم، أعرف هذا الآن. ولكن عليك أن تعترف بأن لا أحد، ولا حتى والدك، أخبرني من هو والد الطفل الحقيقي».

هبطت كتفا ديميتري وتمتم: «كان هذا صعباً عليهم أيضاً».

فتملك جين السخط: «هذا ما أراه».

- كان يانيس قد ابتدأ لتوّه دراسته لكي يصبح كاهناً. وفي ظروف كهذه، ما كان ليكمل تعلّمه.

- كان عليه أن يفكر في ذلك قبل أن يعاشر لانت.

نظر إليها ديميتري بجانب عينه: «أوافقك الرأي لكنه أدرك أنه جلب العار لنفسه وللاسرة».

فقالت له: «ولا تنسَ ما جلبه عليك وعليّ أنا من تعاسة».

فقال بعنف: «ما كان للأمر أن يصل إلى هذا الحدّ. لم يتوقع أحد أن تخبر لانت الكل بأنني الأب».

قطبت جين، وقالت محاولة أن تتذكر: «لكن أحداً لم ينكر ذلك، ما عداك».

فأومأ: «كان هذا بقرار من أمي، مع الأسف».

- ماذا تعني؟

- حدث هذا منذ وقت طويل.

- هذا ليس جواباً.

استدار يواجهها، وهو يرفع ذراعيه بحركة انهزام: «لا بأس، أنت تعلمين أن أمي كانت تعارض زواجنا. عندما قالت لانت ما قالته، أقنعت أمي أبي وستيفن بأن إنكارهما سيحوّل الأنظار إلى يانيس، إذ أمضت لانت كثيراً من الوقت عندنا ذلك الصيف وأنت تعلمين هذا».

www.rewity.com RAHEEN

لم تستطع جين أن تخفي ازدراءها: «ألم يقيموا أيّ اعتبار لي أنا؟».

فرد بفتور: «بدت تلك هي الطريقة الوحيدة لإنقاذ مستقبل يانس. أما أنا، أنا الأحمق المسكين فظننتك ستصدقيني عندما أقول إنني لست والد الطفل، وإن زواجنا من القوة بحيث يقاوم الأكاذيب».

- كان بإمكانك أن تخبرني بالحقيقة وأن تقول لي إن يانيس هو والد الطفل.

- نعم، أنت على حق. كان بإمكاني أن أفعل ذلك. لكن، أتدرين ماذا؟ كبريائي منعتني. تألمت للغاية لأنك ظننتني قادر على مثل هذا العمل، بعد كل ما كان بيننا من حب. لذا فكرت في أن أتركك تصدقين ما تشائين. ومع الوقت، ستدركين مدى خطأك.

حدقت فيه: «هل توقعت مني أن أبقى بينما كنت تعلم حقيقة شعوري؟».

- بكل تأكيد. فهذا ما يفعله الناس الذين يحبون بعضهم البعض... لم يخطر في بالي قط أن من الممكن أن تتركيني. ظننت أننا نحب بعضنا بعضاً.

وتأوه فقالت وهي موشكة على البكاء: «لكننا كنا نحب بعضنا بعضاً. كنت أحبك. لقد أحببتك للغاية. أنا لا أقول إنني لم أندم، لكن عليك أن تفهم كيف كان الوضع، بالنسبة إليّ أنا أيضاً. حينذاك سألت لانت وتوسلت إليها أن تخبرني الحقيقة فقالت إنك تزوجتني بشكل متسرع، وإنكما تحبان بعضكما بعضاً وهذا هو سبب معارضة أمك لزواجنا».

عندئذ، شتم دميتري: «هذا كلام فارغ. لم أهتم قط بلانت، وهي تعلم ذلك. كانت تعشق يانيس وتتبعه إلى كل مكان كخروف مدلّل. وعندما أدركت أنه سيصبح كاهناً، تملكها اليأس. وكانت مستعدة لأن تفعل أي شيء لتمنعه من ذلك. ولتواجه الأمر، كان يانيس فتى

صغير السن ومغروراً للغاية. وأظن أنه لم يكن لديه فكرة عما في ذهنها».

- ليتك أخبرتني.

فقال بعنف: «ولو أخبرتني بأنك ستتركينني هل لديك فكرة عما كان عليه شعوري؟ أن أعود إلى البيت من رحلة عمل لأجد أن زوجتي رحلت إلى لندن ولن تعود، كما قالت أمي».

زمّت جين شفتيها: «كان عليّ أن أعلم أن أمك ستلعب دوراً في هذا».

- نعم. حسناً، كنت محطماً. ولولا عملي لجننت حتماً.

فابتلعت ريقها: «كان بإمكانك أن تأتي لرؤيتي. كان بإمكانك أن تخبرني عن يانيس».

- آه يا جين، أتظنينني لم أحاول ذلك؟

وجلس على كرسي فسألته: «لم أفهم؟».

- عندما أدركت أنك لن تعودي، حاولت أن أراك يا جين مرات عدة. لكن أمك وتلك المرأة أولغا أصرتا على أنك لا تريدين رؤيتي.

- لا...

فقال بعناد: «بل هذا صحيح، حتى أنني تركت رسالة على المجيب الصوتي لدى أمك أطلب منك أن تقابليني. كما أنني أخذت أقف أمام المعرض راجياً أن أتمكن من رؤيتك حين تخرجين لكنك كنت تتسللين دوماً خارجة من الباب الخلفي، أو تتجنبينني بشكل ما».

كان وجهها شاحباً وهي تقول: «لم أكن على علم بكل ذلك. عند عودتي مكثت مع أمي وذهبت للعمل في المعرض. لا أدري لما لم نستطع أن نرى بعضنا بعضاً».

ثم أضافت بصوت خافت: «يا إلهي! أظنني أعرف ما حدث».

تذكرت كيف أنها لم تبدِ الكثير من الحماسة عندما اقترحت عليها

أولغا حينذاك القيام برحلة إلى نيويورك. وكانت قد عادت إلى إنكلترا منذ أيام قليلة فقط، وجل ما أرادته هو أن تنفرد بنفسها وتداوي جراحها. لكن أولغا كانت من خيبة الأمل من رد فعلها هذا إلى حد جعلها تذعن في النهاية. حينذاك، رأت أن هذه هي طريقة أولغا في مساعدتها. فهي تعطيها ما يشغلها، ومنحها وقتاً تواجه فيه آلامها في محيط ليس لديها فيه ذكريات تعيسة. لكنها أدركت الآن حقيقة تصرفات أولغا، كانت محاولة من جانبها، وربما من جانب أمها أيضاً، لإبعادها عن لندن وبالتالي عن دميتري.

كان دميتري يراقب المشاعر التي تعاقبت على ملامحها أثناء اكتشافها للحقيقة. لكن عندما شرحت له ما حدث بسرعة، لم يكن رد فعله كما توقعت فقد قال باستسلام: «إذن، لم تكن لانت وأمي هما الوحيدتين اللتين سعتا كي نبقى مفترقين».

ودفن وجهه بين يديه مضيفاً: «يا إلهي، هذا أكثر مما أستطيع أن أحتمله. طيلة هذا الوقت كنت أظنك سعيدة بوضعك هذا».

حبست أنفاسها: «ظننتك أنت السعيد بوضعك».

فرفع بصره إليها: «كيف خطر لك ذلك؟».

- ولمَ لا؟

حدّقَ فيها فترة طويلة ثم تنهد بيأس: «ها نحن الآن قد عرفنا الحقيقة. وهذا إنجاز جيد، كما أرى».

شعرت جين بالغثيان: «هل هذا كل ما لديك لتقوله؟».

فقال بمرارة: «ما الذي تتوقعين مني أن أقوله يا جين؟ أتظنينني سعيداً بما عرفت؟ كل هذه السنوات، وكل الأكاذيب... حتى أنني لا أعرف ما الذي تريدينه مني الآن. أتريدين تفهماً؟ تبرئة؟ لقد حصلت على هذا كله. لكن علي إخبارك بكل صدقٍ بأنني لن أسامح نفسي أبداً».

- آه، يا دميتري...

لم تستطع جين أن تحتمل هذه الحيرة ولو للحظة أخرى، فسارت إليه وأخذت تحدّق في رأسه المنحني.

وضعت يدها على رقبته فاكتشفت أن شعره مبلل بالعرق الذي يتصبب منه. كان هذا كل ما تحتاجه من تشجيع لتقول له برقة: «هل ستغفر لي قط شكي بك وسماحي للآخرين بأن يعكروا حياتنا إلى هذا الحد؟».

لم يجبها دميتري على الفور، لكنه جذبها إليه، ثم قال بصوت مختنق: «أنا من يحتاج إلى غفرانك. لو أنني لم أكن ذلك الأحمق العنيد، لما هربت مني».

وضعت رأسه على صدرها وقالت هامسة: «ليتني لم أهرب. ليتني بقيت. ليتني جعلت لانت تخبرني بالحقيقة».

وسكتت لحظة لتعود فتقول بصوت مثقل بالمشاعر: «لم يخمد حبي لك قط. حتى عندما ظننت أنني أكرهك، كنت أعلم أنك قادر على أن تؤلمني».

رفع دميتري رأسه ونظر إليها: «هل تعنين ذلك حقاً؟».

كان صوته أجش لكنه فهم من دموعها أنها تعني ما تقول، فدس وجهه في عنقها مرة أخرى ليخفي مشاعره: «لا أستطيع تصديق هذا».

- ما كنت لأكذب عليك.

وأضافت وهي تحيط وجهه بكفيها ثم ترفعه إلى وجهها لتطبع على خده قبلة: «هل هذا يقنعك؟».

أخذت عيناه تتفحصان وجهها: «ستبقين معي إذن؟ ستعودين معي إلى كاليثي وتصبحين زوجتي؟».

- إذا كان هذا ما تريده.

كانت جين ترتجف من شدة ارتياحها وهي تعلم أنه مازال يحبها. وعادت تقول: «إذا كنت تحبني وإذا كنت تعتقد بأن لدينا مستقبلاً معاً».

- إذا كنت أحبك!

ووقف على الفور، وأمسك بكتفيها ثم جذبها إلى ما بين ذراعيه بخشونة، وأخذ يحدق فيها بعينين ملتهبتين، ثم قبلها... حتى الهواء أصبح ساخناً فجأة ومثقلاً المشاعر.

تمتم مرة أخرى: «إذا كنت أحبك؟».

وصمت لحظة ثم قال: «طبعاً أحبك. لماذا تظنينني منعت المحامي من انجاز معاملات الطلاق؟ كان يريد ذلك. قال إنه من الأفضل ألا أمضي وقتاً معك. ولماذا تظنينني أردتك أن تأتي إلى كاليفي، إذا لم يكن ذلك لأنني لم أستطع أن أنساك؟».

- لكن أباك...

- نعم. كان أبي متلهفاً لرؤيتك مرة أخرى، وأنا لا أنكر ذلك. لكنه كان يعلم ما أفعله. وهذا هو سبب غضبه البالغ مني أحياناً. فهو يعلم أنني مازلت أحبك وأنني لم أكن صادقاً مع نفسي ومع إريادن.

لامست جين خده: «كنت أغار من إريادن إلى حد كبير».

- ما كان لك أن تغاري. عندما رأيتك مرة أخرى أدركت أي بديلة رديئة هي إريادن... ولكن.. عليّ أن أعترف. عندما عدت إلى الجزيرة بعد يومين من الانفجار الذي حدث على متن السفينة «ارتميس». ووجدت أنك رحلت مرة أخرى، تحطمت آمالي. لم أستطع أن أصدق أنك هجرتني مرة أخرى.

- لكن لا بد أن أباك أخبرك بما حدث.

هز ديميتري رأسه: «أنت طبعاً لا تعلمين. حين عدت إلى كاليفي

وجدت أبي مريضاً...».

وعندما صرخت جين بقلق، رفع يده ليلمس خدّها: «أظن أنّ الانفجار هو السبب فقد أرقده في فراشه لعدة أيام. وعندما نهض من سريره مرة أخرى، كنت أنا قد عدت إلى أثينا».

- إلى أثينا؟

- نعم. لم أكن مضطراً إلى ذلك، لكنني أردت أن أبتعد عن الجزيرة. ومرة أخرى، ظننت أن عملي وحده هو القادر على أن يبقيني عاقلاً. لم أستطع أن آكل أو أنام. تملكتني التعاسة والشعور بالذنب. كان ستيفن قلقاً عليّ إلى حدّ أنه ظنني سأموت غماً.

لامست جين خده: «كم كنت حمقاء».

فقال بعنف: «لست الوحيدة، صدقيني».

ولامست يده بشرتها الناعمة قبل أن يردف: «كان عليّ أن أخبرك عن لانت حالما أدركت أنني مازلت أهتم بك. لكنك بدوت لي بعيدة بعيدة، وشديدة التحكم بنفسك، وسعيدة جداً بحياتك».

- آه، يا ديميتري... يكفي أن تلمسني لتشتعل فيّ النار. لا تقل إنك لم تلاحظ ذلك يوم جئت إلى شقتي.

فابتسم: «صدقي أو لا تصدقي. أنا لم أحضر إلى شقتك بنيّة مبيّتة».

وطبع قبلة على خدها فارتجفت: «كنت واثقاً من أنك لن ترغبي في رؤيتي. وظننت أنك ستستمعين إلى ما لديّ لأقوله، ثم تطردينني».

فقالت غير مصدقة: «أنا أطردك؟».

- حسناً، ظننتك ستكونين سعيدة بالتخلص مني نهائياً.

اتسعت عيناها: «هل ظننت ذلك حقاً؟».

فقال عابساً: «إذا أردت الحقيقة، لا أظنني فكرت في ذلك ملياً حتى رأيتك. عندئذ، أدركت لما عارضت أمي تدخلي في معاملات الطلاق. لا بد أنها كانت تعلم ما الذي سأشعر به حين أراك مرة

www.rewity.com RAYAHEEN

أخرى».

فتمتمت جين بصوت أجش: «وماذا كنت سأشعر به أنا أيضاً، يا إلهي! عندما دخلت عليّ في الحمام، شعرت بأنني أريد أن أموت!».

- لكني أردت فقط أن ألمسك كما أريد أن أحتضنك الآن.

وخلع عنها سترتها الصوفية وألقى بها إلى الأرض، ثم تابع النظر إليها: «تعالي. دعيني أريك كم أريدك وكم سأريدك بقية حياتنا».

- ولكن... تلك الدعوة على العشاء...؟

- يمكن لثيو أن يتدبّر أمر هذه الدعوة. أتظنين حقاً أنني سأتركك الآن؟

لم تتذكر جين جناح النوم الرئيسي في ذلك المنزل، فهي وديميتري لم يستعملاه سوى مرتين في الماضي.

نظرت جين من حولها، فلاحظت أن الألوان الذهبية والتبنية تحوّلت إلى لون أقرب إلى الذوق الرجولي.

قال ديميتري برقة وهويدخل الغرفة ويقف خلفها واضعاً ذراعيه حول خصرها: «إريادن لم تمكث هنا قط».

وصمت لحظة ثم أردف: «أعرف ما تفكرين فيه. لكن علاقتنا لم تمتد قط إلى خارج الجزيرة».

قالت متوترة، متوقعة منه أن يلاحظ بطنها في أي لحظة: «أظنها أقامت في بيتك هناك؟».

أدارها لتواجهه وسألها: «أيمكنك أن تغفري لي؟».

- سأفكر في ذلك.

ورفعت إليه عينين مغرمتين: «آه يا ديميتري، لو لم يستيقظ ضمير لانت في النهاية، لما كنا معاً مرة أخرى؟».

فرفع ديميتري يده إلى خدها: «لا أصدّق ذلك».

- لمَ لا؟ أنت هنا في لندن ولم تحاول أن تراني، أليس كذلك؟

فقالَ معترفاً: «لقد رأيت المحامي، وأخبرته أنني لا أريد أن أستمر في دعوى الطلاق».

اتسعت عيناها: «أحقاً؟».

فأجاب آسفاً: «نعم. أذكر ما سبق وقلته لك، لكنني قررت أنك إذا أردت الطلاق فعليك أن تأتي لرؤيتي».

غمر جين إحساس بالغ بالرضا، لكن فكرة أخرى خطرت في بالها: «ماذا عن أبيك؟».

- أبي يعرف شعوري نحوك. لقد جرى بيننا حديث طويل. أخبرني أن أمي جعلته يعتقد أني وإريادن مغرمان ببعضنا البعض، كما قالت لستيفن كلاماً غير صحيح عن أبي. لكن لا حاجة إلى الاهتمام بذلك الآن.

- عن حقيقة أن أباك لن يعتبر طفل ستيفن صغيراً له؟

قطب ديميتري وسألها: «كيف عرفت؟».

- أخبرني ستيفن. أخبرني أنه تألم كثيراً لعدم ثقة أبيه به.

- أحقاً؟

وفكر في كلامها، ثم أضاف: «حسناً، ستتغير الأمور. وستتغير أكثر عندما أخبره أنني سأجعله نائبي».

- هل هذه فكرة أبيك؟

- لا، بل فكرتي أنا. لا أنوي أن أجازف بعلاقتنا كما فعلت من قبل. سعادتك ستحتل المرتبة الأولى في أولوياتي من الآن فصاعداً.

- وهل وافق ستيفن؟

- سيوافق عندما أخبره وسيتفهم شعوري. وأنا أعلم أنك عندما تعودين إلى الجزيرة، فسيمضي أخي مع زوجتي وقتاً أكثر مما أمضيه أنا معها.

انفرجت شفتاها عن ابتسامة: «هل أنت غيور؟».

- نعم، نعم... أنا غيور إلى حد لعين.

وانحنى يقبّلها قبل أن يقول: «أريدك كلك لنفسي».

عانقته بدورها فيما هو يهمس: «رائعة. أحبك».

وبعد أن جرفتهما موجة من الشوق قال بصوت أجش: «أريدك».

- يا إلهي، يا ديميتري!

واختنقت وهي تتشبث به بلهفة وقررت أن إطلاعه على أمر الطفل يمكن أن ينتظر قليلاً.

إنه يريدها، ويحتاج إليها وسيكون لديهما وقت طويل في الأشهر والسنوات القادمة ليستمتعا بوقتهما معاً.

سحب غطاء السرير جانباً، وجذبها إليه، فبدت متلهفة مثله.

عندما فتحت جين عينيها كان الظلام يلفها ومضت لحظة قبل أن تتعود عيناها على الضوء الخافت الذي يتسرب من الخارج. والتفتت إلى جانبها لترى ديميتري متكئاً على مرفقه وهو يتأملها أثناء نومها. تمتم وهو ينظر إليها برضا واضح: «ظننتك ستنامين إلى الأبد».

خفقت بأهدابها وهي تنظر إليه بشيء من الدهشة: «كم الساعة الآن؟».

- قرابة الثانية عشر والنصف. لماذا؟ هل أنت جائعة؟

- جائعة؟ لا... ليس بشكل خاص.

- هل أنت واثقة؟

انقلبت على وسادتها ثم مدت يدها بحركة آلية ترفع الملاءة: «نعم شكراً».

قطب جبينه وقد انتبه على الفور إلى ترددها: «ما الأمر؟».

- لا شيء.

رباه، كم تحبه! كيف أمكنها أن تضيّع هذه السنوات كلها بسبب

كبريائها الحمقاء؟

وأمسك بيدها: «ماذا هناك؟ أخبريني وإلا جننت».

ترددت ثم عادت تقول: «أتذكر ما قلته عن... أنك تريدني لنفسك فقط؟».

فقطب جبينه: «أنا لا... ماهذا الذي تقولينه؟ أنت تريدين... من... ربما أن تعيش أمك معنا؟».

فابتسمت: «لا. أنا لا أتحدث عن أمي. يا للغباء».

ثم، وبشيء من التردد، أزاحت الملاءة عنها: «ألم تلاحظ أي شيء مختلف فيّ؟ ألا تظن أنني سمنت قليلاً منذ... آخر مرة مارسنا فيها الحب؟».

نظر إلى بطنها قبل أن يقول بصوت مرتجف: «يا إلهي. أنت حامل».

فقالت بتوتر: «ما شعورك حيال ذلك؟».

- ما هو شعوري؟

وانحنى عليها يحيط بطنها بيديه مكرراً: «ما هو شعوري؟ أنا... أذهلني هذا. متى كنت ستخبرينني؟».

كان رأسه يدور، وحاول أن يجمع أفكاره وهو يطرح سؤاله ذلك بصوت مرتجف. وارتجفت هي: «وكيف كان بإمكاني أن أخبرك؟ ظننتك ستتزوج إريادن».

- هيا يا جين، كنت تعلمين لما أردت الزواج بإريادن.

هزت رأسها: «أعرف، لكني لم أستطع احتمال فكرة أنك قد تعتقد أنني حملت لأدمّر حياتك للمرة الثانية».

- عدم إخباري عن الطفل كان ليدمّر حياتي. يا إلهي! طفل؟ سأكون أباً. لا أستطيع أن أصدق هذا

- ولكن.. هل أنت سعيد بذلك؟

www.rewity.com RAYAHEEN

أحاط وجهها بيديه وطبع على شفتيها قبلة: «أنا لست سعيداً فقط، بل مغتبط بشكل غريب! زوجتي وطفلي! يالله، لا يوجد في الحياة أجمل من هذا..».

الخاتمة

ولد نيكولاس دميتري ليونايدس سوفاكيس في عيد العشاق، وقد تجاوز الخمسة كيلوغرامات. بدت جين شاحبة اللون إنما متألقة عندما جاءت أسرة زوجها لترى المولود الجديد. وقد لازمها دميتري أثناء مخاضها الذي دام أربع وعشرين ساعة، إذ أصرت جين على أن تنجب طفلها بشكل طبيعي. أرادت أن يكون دميتري أول من يرى الطفل عند وصوله إلى العالم، وكان ليو موجوداً ليحمل حفيده هو أيضاً. في الواقع، بدا وكأن الحياة منحت ليو فرصة جديدة منذ عادت جين إلى كاليثي وعلم بأمر حملها. ورغم اعتراض أم دميتري على عودة الزوجين إلى بعضهما البعض، إلا أنها لم تستطع أن تخفي ذهولها لأنها أصبحت جدة أخيراً.

أما أمها فاقتنعت بأن ابنتها لم تكن يوماً أسعد مما هي عليه الآن. وكانت أولغا قد أرسلت رسالة تعبر فيها عن سرورها للخبر، وتشير إلى أنها ستزورهم لترى الطفل أثناء إحدى زياراتها إلى اليونان. كانت جين تعلم أن أولغا ترجو أن تعيد فتح المعرض في كاليثي، لكن هذا لن يكون في المستقبل القريب... هذا إذا حدث.

ولم يصح دميتري وجين وحدهما تلك الليلة إلا في وقت متأخر. وعندما جاء زوجها إلى غرفة النوم بدت غاية في الارتياح وخطر لدميتري أن جين تألقت للغاية في الأشهر الستة الأخيرة.

جلس على جانب السرير بجانب زوجته وسألها: «متعبة؟»

لامست وجنته: «قليلاً. لكن هذا سيمر. ماذا عنك أنت؟ لم تخلد إلى النوم أبداً».

فهز كتفيه: «لا أحب النوم وحدي».

فقالت على الفور وهي تفسح له مجالاً: «لست مضطراً لذلك».

فتردد: «لكنك بحاجة إلى النوم».

ونظر إلى الساعة فأجابت: «وأنت كذلك. أريدك أن تبقى معي يادميتري. أنا أيضاً لا أحب النوم وحدي».

نظر إليها لحظة طويلة ثم أزاح غطاء السرير ليصعد إليه.

قال: «ما الذي ستقوله الممرضة عندما تأتي لتطعم الطفل؟».

فأطفأت النور وردّت: «لا تقلق ياحبيبي. ستغار مني وحسب».

www.rewity.com
RAYAHEEN

جميع أعداد سلسلة أحلام
متوفرة في شبكة روايتي